

روايات مصرية | 

10

الاسم شكسبير

فانتازيا

د. أحمد خنيس التوفيق



مقدمة

اسمها (عبير) ...

لم يكن لها نصيب من اسمها ... فهي تفتقر إلى
الجمال الذى يوحى به الاسم .. إنها سمراء نحيلة
بارزة عظام الوجنتين ، باردة الأطراف .. ترتجف رعباً
من أى شىء وكل شىء ...

إنها حتى غير مثقفة .. وبكل المقاييس المعروفة
لا تصلح كى تكون بطلتنا .. أو بطلة أى شخص سواتنا ..
هى لا تلعب التنس ، ولا تعرف السباحة ، ولا تقود
سيارات (الرالى) ، وليست عضواً فى فريق لمكافحة
الجاسوسية ، أو مقاومة التهريب ..

لكن (عبير) - برغم ذلك - تملك أرق روح عرفتها فى
حياتى .. تملك إحساساً بالجمال ورفقاً بالكائنات ..
وتملك مع كل هذا خيالاً يسع المحيط بكل ما فيه ...
لهذا أرى أن (عبير) هى ملكة جمال الأرواح ، إذا
وجد لقب كهذا يوماً ما ..

ولهذا أرى أن (عبير) تستحق مكافأة صغيرة ...
ستكون بطلتنا الدائمة .. ولسوف نتعلم معاً كيف
نحبها ونخاف عليها ونرتجف فرحاً إذا ما حاق بها
مكروه

ولأن (عبير) تملك القدرة على الحلم .. ولأنها
تختزن في مقدمة مخها مئات الحكايات المسلية ، وآلاف
الأحداث التي خلقها إبداع الأدياء عبر العصور ..
لذلك وقع عليها الاختيار كي ترحل إلى (فانتازيا) ..
(فانتازيا) أرض الأحلام التي لا تنتهى ..
(فانتازيا) حيث كل شيء ممكن .. وكل حلم متاح ..
(فانتازيا) جنة عاشقى الخيال
ولسوف نرحل جميعاً مع (عبير) .. سنضع حاجياتنا
وهمونا فى القطار الذاهب إلى (فانتازيا) ..
. وهناك سنتعلم كيف نحلم ...
إن صفير القطار يدوى ، والبخار يتصاعد حول قاطرته ..
هو ذا جرس المحطة ينفق .. إنن فلنسرع ..!
لقد حان موعدنا مع الأحلام فى (فانتازيا) ..



١ - من هنا نبدأ ..

القطار الصغير المضحك يبتعد متأرجحاً عن مملكة
الخنّاقين .. عالم الهند الغامض الذى هو مزيج من
روائح التوابل والعطور الثمينة والعرق والبخور
ورطوبة الجو .. مع رائحة روث الأبقار المقدسة
إياها ...

ويصفو الهواء ببطء ، فتخرج (عبير) رأسها
الصغير من النافذة ، تتأمل الأحلام التى سترها أو
التى رأتها من قبل ..

عالم (ديزنى) الرائع ببطء الثرثار وفنراته الذكية
وغزلاته الرشيقة ، ولا بد من حسناء ما حافية
القدمين تغنى فى الغابة .. فتهرع الأرتاب والسناجب
تلاحقها .. وتترقب طيور السنونو حول رأسها ..
يسألها (المرشد) وقد أراح ظهره للوراء :

- « هل تجربين هذا ؟ »

- « لا .. ليس بعد .. لا أرغب فى أن أكون

(سنو هايت) اليوم .. »

ثم تظهر دنيا (المافيا) .. وترى (عبير) رجالاً
يرتدون أحذية بيضاء يقاتلون بالمدافع الرشاشة رجالاً
يرتدون مثلهم ، ويتوارون خلف سيارات عتيقة تعود
إلى الثلاثينات .. إنه عالم (شيكاغو) إبان حظر
الخمور .. ومن المحتم أن ترى (كابوني) أو
(إليوت نس) فى أية لحظة ...
- « ما رأيك ؟ »

- « تَو .. »

هكذا تتوالى آلاف الاحتمالات .. مقاتلو (النينجا)
يلوحون بسيوفهم العملاقة .. رجال (الساموراي)
يتبارزون بالرمح .. (سندريللا) تهبط الدرج بسرعة
وقد جاء منتصف الليل .. رعاة بقر آخرون ..

ثم ترى (عبير) سورا عالياً .. هذا غريب ! إنها
لم تر أسواراً فى (فانتازيا) من قبل ..

- « ماذا وراء هذا السور يا (مرشد) ؟ »

قال لها وهو يداعب زنبرك قلمه الجاف الكريه :

- « تك تتك ! من المعتاد أن نبنى سوراً حول أعمال

الفنانين الذين خلقوا عالماً كاملاً متكاملأ .. وبهذا
نمنع أفكارهم من أن تختلط بأفكار الآخرين .. »

ثم أردف فى فخر :

- « من المفهوم أنهم - جميعاً - عباقرة .. وغزيرو الإنتاج .. وكلهم قد نجح فى تغيير مفهوم الأدب .. فلم يعد الأمر بعدهم كما كان قبلهم .. »

- « مثل (نجيب محفوظ) ؟ »

- « طبعاً .. و (الحكيم) و (يوسف إدريس) ..

و (هـ . ج ويلز) (وشكسبير) .. و (جابريل

جارسيا ماركيز) .. إلخ .. »

نظرت إلى السور الذى يتحرك ببطء جوار نافذة
القطار .. بدا لها الأمر مثيراً .. كما أن بيت الزواحف
نسيج وحده وسط حديقة الحيوان .. هذا نوع من
التفرد خلق بأن يدير الرعوس ..

سألت (المرشد) وهى تطل من النافذة أكثر :

- « ومن يخص هذا القطاع ؟ »

- « إنه عالم (شكسبير) ... »

- « وأين عالم (نجيب محفوظ) ؟ »

- « لا أدرى .. تك تك ! » - وتثأب - « الجغرافيا

شئ لا وجود له فى (فانتازيا) .. اليوم قد يكون

هنا .. وغداً قد يكون هناك .. لهذا لم تقابليه قط ..

لكنه موجود .. »

عادت تتأمل السور فى تقزز .. وغمغمت :

- « أنا أكره (شكسبير) ! »

- « لست أول من قال هذا .. (برنارد شو) قالها

مرارًا .. ولكن أسبابه تختلف عنك بالتأكيد .. لماذا

تكرهينه ؟ »

- « لأنه .. لأنه ممل .. »

قال بلهجة التعاطف :

- « ربما .. لكن الجميع يستطيع قراءة (شكسبير)

والاستمتاع به .. تلاميذ المدارس الابتدائية يقرءون

قصصه فيجدونها شائقة ملأى بالأشباح والقتلى ..

وأستاذة الأدب الإنجليزي من عينة د. (لويس عوض)

يقرءون (شكسبير) فيجدون فيه منهلاً ثرياً لهذه

اللغة .. إن كم ما قيل وكتب عن (شكسبير) يفوق

بالتأكيد ما قيل عن ابتسامة (الموناليزا) .. »

ثم أضاف باسمًا :

- « وكم من فنانين ألهمتهم أعمال (شكسبير) ..

بل إننى أشعر بأن فيلم (الملك الأسد) - تحفة

(ديزنى) - ليس سوى مسرحية (هاملت) بعد أن

صار أبطالها أسودًا ! »

ومدّ يده إلى الحبل فى إغراء واضح .. وقال :
- « هل تتوقف ؟ تذكرى أنك سترين عالمه بمفردات
وقواعد (فانتازيا) .. فلا أحد سوى الله يعلم ما قد
تجدين .. »

نظرت له بشك .. ثم قالت محنقة :
- « تحاول توريطى فى أى مغامرة كى تستريح
منى ! »

- « إن سوء الظن هذا ... »
- « نحن نسمى هذا (تدبیس) .. »
- « تباً لهذه الألفاظ السوقية التى تحيل اللغة إلى
سُخف .. أنا لست راغباً فى (تدبیسك) على كل حال ..
لكنى نصحتك وكفى .. »
- « حسن .. إذن لنقف ها هنا .. والويل لك إن لم
أستمع بوقتى .. »

قال وهو يجذب الحبل مطلقاً تهيدة الخلاص :
- « إن أحلامك أوامري يا (أليس) .. »

★ ★ ★

وتترجل (عبير) وتتجه فى تردد إلى إحدى
البوابات المتناثرة على طول السور .. وراحت تقرأ
المكتوب على اللافتة : (دراما) ..

التفتت إلى (المرشد) الذى كان يمشى جوارها ،
ويداه فى جيبي بنطاله ، ورأته يزيل بعض خيوط
العناكب المتشبثة بهذه اللافتة .. فسألته :

- « دراما ؟ أنا لا أحب الأحزان .. »

تهد فى صبر .. وقال وكأته ينصح طفلاً معتوها :

- « هذا هو الخطأ الشائع .. (الدراما) لا تعنى

الحزن والمأسى .. (الدراما) هى كل عمل فنى يؤدى

على المسرح .. أما ما تتحدثين عنه فهو (التراجيديا)

أو المأساة .. »

- « يا سلام ! هل تعنى أن (مدرسة المشاغبين)

مثلاً عمل درامى ؟ »

- « بالطبع ! » - قالها فى نفاذ صبر - « إنها

(دراما) تنتمى إلى النوع الكوميدي .. والأحمق ليس

هو من لا يعرف .. الأحمق هو من لا يريد أن يعرف

أو يأبى تصديق ما يعرف .. »

- « شكراً .. »

وعادت تتأمل اللافتة فى فضول كهرة صغيرة عابثة ..

ثم عادت تسأل :

- « هذه البوابة تقودنا إذن إلى كل عمل فنى يؤدى

على المسرح ، وكتبه الأخ (شكسبير) .. فما هو
العمل المختار إذن ؟ »

- « وكيف لى أن أعرف ؟ إن (شكسبير) قد كتب
(هاملت) و (ماكبث) و (الملك لير) و (عطيل)
و (يوليوس قيصر) و (ترويض النمرة) و (كما تحبها)
و » - وتوقف حتى يأخذ شهيقاً طويلاً يناسب
ما سيقول .. ثم أردف - « .. و (تاجر البندقية)
و (العاصفة) و (حلم ليلة صيف) .. و .. الله يعلم
ما قد أكون نسيته .. »

- « إذن لن أعرف إلا بالداخل ؟ »

- « حتماً .. »

- « وهل ستصرف الآن ؟ »

- « ليس قبل أن أعرف مكانك .. فلا أريد أن أتركك

فى قلب كارثة ما .. »

ومذ يده ليقرع مطرقة على شكل قبضة اليد ..
قرعها ثلاثاً كما يحدث فى المسرح .. فانفتح الباب
ببطء ، وبرز لها وجه مرعب ..

كان شيخاً أشيب الشعر طويل اللحية ، يتدلى شعر
حاجبيه على عينيه ، ويرتدى ما هو أقرب إلى
الأسمال ... فما إن رآها حتى صاح متهللاً :

- « المجد للسماء ! (ميراندا) ! لقد قلب (إيريال)
الجزيرة بحثاً عنك ! »

نظرت في شك إلى الرجل الذي هو أدنى إلى
المجاذيب .. وهمست سائلة :

- « (ميراندا) ؟ (إيريال) ؟ هل أنت واثق من
أن هذه ليست فقرة إعلانية ؟ هل كان (شكسبير)
في ورطة مادية ما حين » ؟

ضحك (المرشد) ضحكته السمجة .. وقال وهو
يدفعها إلى الداخل :

- « اطمئني .. أنت في قلب مسرحية (العاصفة) ..
ويوسفنى أن هذا هو (بروسبرو) العظيم .. أبوك ! »
- « أهي ؟ ! »

وهنا عرفت أن (المرشد) قد اختفى ..



٢ - شخصيات .. شخصيات ..

جزيرة مغزولة عن العالم ، حولها بحر عجاج
تلاطمت أمواجه .. هذا هو عالمها .. والأسوأ أنها
مرغمة على الحياة مع هذا الشيخ غريب الأطوار ،
ووسط كل هذه الأرواح التى تخدمه ، وتملاً كل صوب
بالجزيرة ..

إن إياها (بروسبرو) هو أحد أساتذة السحر
العالميين ، ويبدو أنه استطاع أن يحرر كل الأرواح
التي سجنتها الساحرة الشمطاء (سيكوراكس) فى
جذوع الأشجار .. لهذا تحبه الأرواح وتخدمه
بإخلاص ..

كان أظرف الأرواح طراً وأكثرها ميلاً للدعابة هو
(إيريال) .. الروح اللطيفة الشفافة التى تلعب دور
نراع (بروسبرو) اليمنى ها هنا ...

يوجد كذلك مخلوق مريع شبيه بالفوريللا هو
(كالبيان) .. وهو ابن الساحرة (سيكوراكس) ..

وهو يملك إخلاص الذئب وظرف العقرب وذكاء
الخرتيت .. لهذا لم تره (عبير) يفعل شيئا ذا قيمة
سوى الأعمال الشاقة ، كقطع الخشب وتحطيم
الصخور ..

لم يكن لطيف المعشر .. وكأت (عبير) تهابه
حقاً ..

أما عن (عبير) نفسها .. فلشد ما أحببت ثوبها
الجديد .. إنها ها هنا الحسناء الرقيقة (ميرندا) ذات
الستة عشر ربيعا .. ملأى بالحيوية وحب الحياة ،
وقد بدأت تحب أباهما الساحر العجوز .. فهي لم تر
رجالا غيره فى هذا العالم ..

لكنها لم تدرك - لصفر سنها - أن هناك مشكلة
شنيعة تؤرق الرجل .. إن ابنته تنمو .. ولا يوجد
عرسان صالحون فى هذه الجزيرة اللعينة .. وحتى
أعظم السحرة لا يستطيع أن يوجد عريسا لابنته ،
ولا يستطيع أن ينقذها من لقب (عانس) الذى ستستحقه
بجدارة بعد أعوام ..

إنها ورطة .. لكنه سيجد لها مخرجاً ..



وفى ليلة أخبرها بقصة حياته الغريبة ..
إن أباه - الذى يبدو كمجذوب - كان منذ أعوام
دوق (ميلانو) شخصياً ، وكانت هى أميرة (ميلانو) ..
وكان يهوى السحر ، واستعان بأكبر مراجعه ليغدو
حجة فى هذا الفن .. فى الوقت الذى ترك فيه شئون
المملكة الدنيوية لأخيه النذل (أنطونيو) ..
- « ولماذا تركت الأمور له ؟ »

- « لم يكن نذلاً وقتها .. أو هكذا بدا لى .. »
ونجح الأخ النذل - بمعونة ملك (نابولى) الذى
كان وغداً - فى التخلص من أخيه (بروسبيرو) ..
ألقي به فى قارب بلا مجاديف ولا دفة .. وأرسله إلى
البحر .. لكن رجلاً شجاعاً يدعى (جونزالو) أخفى
بعض الطعام والماء فى القارب ، وبهذا تمكن
(بروسبيرو) وطفلته من البقاء حيين حتى وصلا إلى
هذه الجزيرة .. لقد لعب العجوز لابنته دور الأب
والأم .. ولو لم يكن القارب حاوياً لكتب السحر لمات
الرجل ساماً .. لكنه وجد ما يسليه ..

راحت (عبير) تفكر بعض الوقت ..
لقد بدأت تتذكر أحداث المسرحية إلى حد ما .. لكن
أين هى العاصفة بالضبط ؟ بالتأكيد هناك واحدة ..

ولم يخب ظننها طويلاً ..
ففى ذات صباح مشرق باسم ، قرر (بروسبيرو)
أن يفسد الجو قليلاً :
ووقف يردد بعض التعاويذ السحرية الخاصة بإحداث
عواصف ..

وعلى الفور تحول الهواء إلى لون رمادى كئيب ..
واحتشدت الغمام منيرة بالويل .. ثم شق السماء
سوط البرق ليلهب ظهر الأمواج .. واتهمر الغيث
هتونا مراراً ...

وقفت (عبير) / (ميراندا) ترمق المشهد عاجزة
عن فهم هذا المزاج السوداوى لدى أبيها .. ما هى
المنعة فى تحويل صباح بهيج إلى جحيم ؟
لكنها أدركت أن الأمر أسوأ مما تظن ..
ففى الأفق ترى سفينة تصارع العباب ..
كانها دمية فى يد طفل مخبول .. تارة يرمى بها
إلى السماء وتارة يخسف بها الأرض ، والجبال تعلو
من حولها ثم تعلو من تحتها .
إن هناك بشراً على تلك السفينة .. وهم يعيشون
الآن أسود لحظاتهم ..



لكنها أدركت أن الأمر أسوأ مما تظن .. ففي الأفق ترى سفينة
تصارع العباب ..

- « أبى .. »

- « همم م م ؟ »

سألها فى لامبالاة ساخر تسبب من فوره فى كارثة
بينية .. فقالت :

- « هؤلاء القوم .. هل ستدعهم يفرقون ؟ »

- « حتماً ! »

- « وهل هذا مسلّ حقاً كما يبدو لى ؟ »

- « ليس تماماً .. لكنى أفعل كل هذا لأجلك ! »

- « وهل قال لك أحد إننى مريضة بالسادية ، أكره أن

أنام قبل أن أرى طاقم سفينة كاملاً يغرق أمام عيني ؟ »

- « صه يا (ميراندا) ! أنت لا تفهمين »

قالها فى غموض وهو يرمق السفينة تتقلب فى

الأفق بمن عليها وما عليها .. والسماء تستحيل إلى

اللون الأسود .. كأنما الظلام قد جاء قبل الميعاد .



وهنا تنتظر (عبير) إلى ما وراء كتفها لترى ..

كان هناك رجلان يشقان الطريق وسط العواصف ..

العواصف التى تلتهم ثيابهما وتبعثر شعريهما وتبللهما

كالأسماك ..

الرجل الذى يتقدم المسير لا يعبأ - كما هو واضح -
بالعاصفة ولا البرق ، بل هو يرفع ذراعيه إلى السماء
كأنما يستمطرها اللغات ، ويصيح صياحا لا تميزه
جيذا على هذه المسافة ..
أما تابعه فهو متردد خائف ، يحاول إقناع الأول
بالعودة ..

نظرت فى غير فهم إلى أبيها (بروسبيرو) ..
فهى لا تعرف هذا الجزء من القصة لكنه قال لها وهو
يناولها عباءة تتقى بها السيول :

- « هذا هو الملك (لير) وتابعه مهرج البلاط ..
ما كان (شكسبير) ليفوت فرصة هذه العاصفة التى
تمنح أبطاله مجالا لا بأس به للصراخ .. إن مشهدا
كهذا لهو عماد المسرح المأساوى .. »

- « هل .. هل تعنى أن هذه مسرحية أخرى ؟ »

- « طبعا .. ألسنت فى عالم (شكسبير) الثرى ؟ »

ثم أشار لها نحو الرجلين ..

- « هيا الحقى بهما .. وعيشى مع (لير) بعض

الوقت .. »

نظرت (عبير) له فى حيرة ..

ثم إنها لفت العباءة حول رأسها وعنقها .. وراحت
تخطو بحذر فوق الأوحال التى بدأت تزداد سريعا ..
بالأرض الزلقة .. ويا للأمطار التى تنهمر بلا توقف
كأما صنابير السحاب جميعا قد تلفت ..

وبين ثانية وأخرى تتألق الأرض بلونها الأزرق
الكهربائى الساطع فيستحيل الليل نهارا .. ثم ..
بروووم ! جلاميد الصخر تصطدم فى أجواز السماء ..
يا لها من عاصفة ! عاصفة جديدة بمأسى (شكسبير)
الزاعقة حقاً ..

وها هى ذى تدنو أكثر فأكثر من الرجلين ..
لم يكن الملك (لير) يهاب العاصفة .. من العسير
أن تصدق أنه ملك بكل الأسمال التى يرتديها ، ونظرة
الخبال المطبق فى عينيه .. لكنه يشبه (بروسبرو)
بالشعر الأشيب واللحية التى تتدلى حتى خصره ..
كان لا يرى أحداً .. يكتفى بالنظر إلى السماء ،
وترديد لغات لا تنتهى على ابنتيه الجاحدتين ..

أما تابعه - مهرج البلاط - فكان مذعورا متهيئا
لا يعرف ما ينبغى عمله .. وكان يحاول إقناعه بالبحث
عن مأوى ، لكنه كان كمن يؤذن فى (مالطة) ، أو
يشرح معنى اللون الأزرق لرجل كفيف ..

رآها المهرج بصعوبة وسط كل هذه السيول ..
فهتف وهو يزيح عن عينيه الكرات التى تتدلى من
قلنسوته ، والتى جعلته يشبه مهرج أوراق اللعب :

- « هيه يا سيدتى ! هلا ساعدتنى فى السيطرة
عليه ؟ لقد أصابه الخبال تماما .. بل هو مجنون .. »
وهنا هوى لسان برق ليصدم شجرة سامقة ،
فاشتعلت بالنار وهوت .. إن الجحيم يفر فاه .. ومن
الغريب أنه جحيم مائى خال من النيران تقريبا .. مدت
(عبير) يدها لتجذب ذراع الشيخ قائلة شيئا مثل :

- « انتظري يا والدى .. إن صحتك

ولم تكمل العبارة لأن معصم الرجل هوى كجذع
الشجرة على وجهها المبتل .. ووجدت نفسها تطير
لتسقط وسط الأوحال ..

راحت تبصق ما بلعته من طين .. ونهضت غير
عارفة هل ما يبيل وجهها هو المطر أم الدمع .. إن
هذا الأخ قوى حقا ..

أما (لير) فراح يهلل وهو يرفع وجهه إلى السماء :
- « هلمى يا سماء .. أمطرى .. أغرقى ابنتى لابل
ذنبتى !! ها ها هاه ! »

هنا رأت رجلاً يهرع إليهم وسط السيول المنهمرة ..
كان ضخّم البنيان يوحى بالثقة .. وكان مدثراً بثياب
ثقيلة .. رآته يدنو من الشيخ المجنون هاتفاً :

- « سيدى الكريم ! حتى المخلوقات التى تعشق الليل
لا تجرؤ على الخروج فى ليلة كهذه .. وما كان لطبيعة
البشر أن تتحمل عاصفة مثل التى تحاصرنا .. »
ثم أمسك نراعه بقوة فلم يستطع الشيخ مقاومته ..
واقفادهم إلى بقايا كوخ وجده على بعد أمتار من
هذا الموضع ..

أشعل النار .. ثم نضا عنه عبايته وأجلس الشيخ
قربها ليصطلى .. كذا فعلت (عبير) والمهرج ..
حسناً فعلت .. فهى لم تعد تشعر بقدميها ..

أين (بروسبرو) و (إيريل) من كل هذا ؟ واضح
أن جزءاً آخر مختلفاً تماماً من عالم (شكسبير) قد
بدأ .. لقد صار (بروسبرو) وقصته عن دوق
(ميلانو) شيئاً بعيداً جداً .. ذكرى من الماضى ..

قال الرجل الذى لا تعرفه ، وهو يهمس فى أذنها :
- « أنا (كايوس) .. إيرل (كنت) .. لكنه لن
يعرفنى بهذا التكر .. أردت أن أكون بجواره لأحميه .. »

سألته وهى تفتح كفيها تريد أن تعاقب الذهب :

- « ما هى المشكلة بالضبط ؟ »

- « أحمقاً لا تعرفين يا (كورديليا) ؟ »

إذن اسمها هو (كورديليا) من الآن فصاعداً ..

ولكن من هى (كورديليا) ؟

قال لها الرجل قبل أن تسأله :

- « على كل حال سأشرح لك كل شيء .. إذ سيكون

عليك البدء من هذه اللحظة فى دور (كورديليا) .. »

كان الظل يتراقص على وجهه وهو يحكى لها كيف

بدأ كل شيء ..



الملك (لير) هو ملك بريطانيا .. ولديه ثلاث بنات

هن : (ريجان) و (جونريل) و (كورديليا) .. طبعاً

الأخيرة هى (عبير) بعد ما صارت فى جمال وأناقة

أميرة ..

قرر الملك أن يقسم المملكة على بناته الثلاث ..

فقد أرفقته أعباء الحكم والتهام الخنازير البرية ..

لكنه أراد أولاً - وعلى طريقة أباء القصص - أن يعرف

مدى حبا كل بنت من بناته له ..

ولهذا - فى ذلك اليوم الأسود - نادى الفتيات
الثلاث ، وأمام البلاط سأل كبراهن (جونريل) عن
مدى حبها له .

إن الكلمات سهلة .. ومن الممكن أن تقول إنها
تحبه أكثر من الحياة ذاتها .. بل أكثر من كل كلمات
يمكن قولها ..

وهكذا فعلت لأنها تتمتع بتفكير عملى لا بأس به ..
الأخت الوسطى (ريجان) لم تجد صعوبة هى
الأخرى فى اصطناع الكلمات .. وقالت أشياء مماثلة
جيدة ..

وكان الملك طفلاً كبيراً أشيب الشعر ، يحب أن
يسمع الإطراء .. لهذا - دون تردد - وهب كلا من
الفتاتين ثلث المملكة ..

ويأتى دور (عنبير) التى صارت (كورديليا) .. أصغر
بنات الملك وأجملهن .. وأقربهن إلى قلب أبيها ..
لكن (كورديليا) كانت صريحة جداً ، لا تبالغ
ولا تتافق ، ربما كان هذا عن إيمان منها بأهمية
الكلمات (أو هو إيمان بعدم أهميتها ؟) ..

لهذا قالت فى لهجة هادئة متزنة :

- « أنت أبى .. لقد رببتى وعنيت بى .. ولهذا أنا
ممتنة .. ولهذا أحبك وأطيعك كما ينبغي على كل فتاة
نحو أبيها .. لكنى لا أزعج أن حبى لك لن يتبدل ..
ويوم أن أتزوج سيكون جل حبى لزوجى ! »
طبعاً هو قول أحمق .. لكن ما حيلة (كورديليا)
وقد أرغمها (شكسبير) على هذه الكلمات التى تشى
بقلة الذوق ، حيث أرادها أن تشى بالصراحة وكراهية
التعلق ؟

وكانت ثورة الملك مبررة جداً فى رأى :
- « طفلة عاقه قاسية ! أنت لم تعودى ابنتى ..
لا شيء يأتى من لا شيء .. ونصيبك فى المملكة
سيكون لأختيك ! »
وخرجت (كورديليا) البائسة مغضوباً عليها ،
تدارى دموعها ..
على حين أزمع الملك أن يحتفظ بمائة فارس
فحسب ، وأن يعيش ضيفاً على قصرى ابنتيه
الحبيبتين ..

كان كل ذى عينين فى المملكة يعرف أن الملك
مخدوع ، وأن ابنتيه تلاعبتا به ..

لكن ما من أحق يجرف على مصارحته برأيه فى
هذه القسمة الضيظى .. هناك أحق واحد لحسن
الحظ هو

- « أنا .. إيرل (كنت) .. لقد أبديت له رأى فى
حماقته .. »

ويبتسم إيرل (كنت) فى مرارة .. ويردف :
- « كنت أكثر منه حمقا .. لأنه طردنى من المملكة ..
نفاتى جزاء لى على صراحتى .. إن الصدق غير منج
فى هذا البلاط على ما يبدو .. »

ويتقدم إلى (كورديليا) عريسان .. أحدهما ملك
فرنسا .. ويبدو أنه كان من الطراز الجاهز الذى
يريدها بحقية ثيابها .. فقد كان من المحتوم أن تقدم
العروس دوة لزوجها - فى ذلك الزمن السعيد - ولم
تكن (كورديليا) قادرة على دفع ملين ..

وأعطاها أبوها لملك فرنسا غير أسف عليها ..
إنها قليلة الأدب طويلة اللسان ، ولن يسبب فقدها ألما
لأحد ...

وكانت (كورديليا) تعرف أن أختيها ستعاملان
أباهما أسوأ معاملة .. لكن ماذا بوسعها أن تعمل ؟



٢ - نفس عنوان الفصل السابق ..

فهو يبدو مناسباً ..

ويواصل إيرل (كنت) سرد القصة ، وهو يضيف
مزيذاً من الحطب إلى النار :

- « صح ما توقعه الجميع .. وتم هذا بسرعة غير
عادية .. »



ففى قصر (جونزيل) وزوجها دوق (ألبانى) ،
بدأت المعاملة السيئة للملك .. كل الخدم يعاملونه
بإهمال ولا يطيعونه .. والابنة اللعينة لا تكف عن لومه ،
وتأمره بعدم إعطاء الأوامر لأن هذا ليس قصره ..

واستطاع إيرل (كنت) - متكرراً - أن يلتحق
بخدمة مليكه .. فقد أراد أن يكون معه دوماً لينذره
عنه ما يتوقعه من أذى ..

وبالنسبة للملك الشيخ كان لا يعرف لإيرل (كنت)
اسماً غير (كايوس) .. كان هناك أيضاً مهرج البلاط ..

وهو مخلص للملك حقاً .. لكنه - ككل مهرجى
المسرحيات - يتلفظ بالحكم العظمى ، ولا يكف عن
التفلسف مدعيًا أنه يتلفظ بمزاح أبله لا أكثر ...
يقول للملك وهو يضحك :

- « قديمًا كان الآباء يطلبون أبناء مطيعين ، واليوم
يطلب الأبناء آباء مطيعين ! إن العربة هى التى تجر
الحصان الآن ! »

ويحاول تسلية الملك بدعاباته السخيفة .. دون
جدوى .. فمزاج الملك صار صالحًا لتعكير نهر
(التيمز) نفسه ..



وتتمادى (جونريل) فى تعذيب أبيها الشيخ ..
فى ذات صباح رائع طردت خمسين فارسًا من
أتباعه .. لأنهم كثيرون ويسببون فوضى فى القصر .
هنا ثار الملك ودعا عليها بعقوق الأبناء لو رزقت
بهم ، أو بالعقم أساسًا .. وغادر قصرها ليقيم عند
ابنته الثانية (ريجان) ..

لكن (ريجان) لم تكن ملاكًا إذا قورنت بأختها ..
عاملت أباهما معاملة كريهة ، وأعلنت أنها لن
تسمح سوى بخمسة وعشرين فارسًا فى قصرها ..

كان هذا فوق قدرة الملك على الاحتمال .. لهذا
غادر قصر ابنته حائقا يغلى غضبا .. وقد بدا لمهرجه
المخلص أن عقله قد تلاشى شعاعا ..

عندها بدأت العاصفة .. العاصفة التى بدأها الشيخ
(بروسبرو) فى مسرحيته الخاصة .. والتى لم تثر
فرع الملك لأنه كان يحوى إعصارا داخله ..
وكان هذا اللقاء ...

سألت (كورديليا) إيرل (كنت) حيث جلسا حول النار :
- « والعمل ؟ »

- « ستعودين إلى فرنسا طبعا لتخبرى زوجك
بالأمر .. »

- « وأبى ؟ »

- « سيكون فى أمان فى قصرى حتى تعودى ... »
- « أعود بماذا ؟ »

- « يا له من سؤال ! طبعا بجيش عرمرم أوله فى
(ألبانى) وآخره فى فرنسا .. يجب أن نحارب هاتين
الذنبتين ونسترد ما ورثناه .. »

تأملت الشيخ العجوز الذى غالبه النوم ، فنام جوار
النار .. ورق قلبها لشيخوخته .. فى سن كهذه ما كان
له أن يرق فى العراء بلا ثياب ، مبتلا جانعا خائفا ...

سيكون الانتقام مريعاً



وفى الصباح عبرت (المانش) إلى فرنسا ..
وتوجهت إلى قصر زوجها الحبيب .. إن الناس
يحبونها ها هنا على كل حال ..

كان زوجها وسيماً .. أحد نبلاء القرون الوسطى
حقاً .. وكان يمزج فرنسيته بالإنجليزية لجعل كلامه
مفهوماً لها ..

رأته يتقدم منها فى حماس بقامته الرشيدة ..
وفتح ذراعيه صائحاً :

- « حمداً لله على سلامتك واحبيبتى (كورديليا) .. »
الكلاب تتواثب حولها فرحة ، والوصيفات يلتفتن
حولها فى حماس .. وسمعت زوجها يسألها :
- « تبدين مرهقة .. هل هناك شىء ما ؟ »

هنا سمعت أناساً يتكلمون بلغة غريبة .. ليست
الإنجليزية ولا الفرنسية .. وتكفل شىء فى ذهنها
بجعلها تعرف أنها اللغة الدانماركية .. والتفتت لترى
فى ردهة القصر شاباً ناعلاً يروح ويجىء ممسكاً
بخنجر .. وقد بدا فى حالة عصبية بالغة ..
وسمعه يهتف كأنما يخاطب نفسه :

- « أكون أولا أكون .. تلك هي المسألة ! »
بدا الضيق على ملك فرنسا .. وصاح بالفرنسية
في الشاب :

- « يا أمير (هاملت) .. هلا خرست قليلاً ؟ إتينا
نناقش مصيبة والد (كورديليا) الذي يوشك على
الهلاك .. »

غمغم (هاملت) وهو يتأمل خنجره باسمًا :
- « وأنا أناقش مصيبة والدي الذي مات بالفعل ..
إن لكل منا همومه ومشاكله .. لكن مسرحيتي أنا هي
أهم مسرحيات (شكسبير) بشهادة الجميع .. ومن
حقى أن أتكلم كما أريد .. »

- « مسرحية عن شخص متردد ؟ »
- « هي أفضل من مسرحية عن أب عفته بناته .. »
كاد الحراس حول ملك فرنسا يفتكون بـ (هاملت) ..
لكن هذا الأخير فرد ذراعيه في استسلام ليمنحهم صدره :
- « هلموا .. إنكم ستريحونني من كل هذا الغناء ! »
هتف ملك فرنسا في رجاله أن توقفوا ..
- « سنترك المكان لهذا المخبول .. »

وراته (عبير) / (كورديليا) يبتعد .. فصاحت
في قلق :

- « أَلنْ نكمل كلامنا ؟ »

- « فيما بعد يا ملاكى .. فيما بعد .. إن اسمك الآن هو (أوفيليا) .. وعليك أن تمرحى قليلاً مع هذا البدين .. »

- « بدين ؟ »

- « (شكسبير) قال فى المسرحية إنه بدين .. لكن هذا مستحيل مع طبيعته العصبية هذه .. والآن وداعاً . »

وابتعد عن عينيها مع حراسه وكلابه ..
وأدركت (عبير) أن القصر يبدو مختلفاً عما كان الآن ..

إنه قصر ملك (الدانمارك) العظيم ...

★ ★ ★

ويواصل (هاملت) تأملاته :

- « أكون أو لا أكون .. تلکم هى المسألة .. »

أترى الأتبل فى العقل أن أتحمل نبال القدر ..

أو أشهر سلاحى فى وجه خضم من المتاعب ..

من ثم أضع حدًا لها ؟

أموت .. أنام .. ثم لا شئ ... »

جلست (عبير) - التى صارت (أوفيليا) - على

مقعد تصفى لهذه الأبيات - الأشهر من نار على علم -
وأدركت أن الفتى غارق في بحر ذاته بحيث لا يراها
ولا يشعر بوجودها ..

فتحت فاما لتقول شيئا .. لكنه عاد يصيح في
جنون :

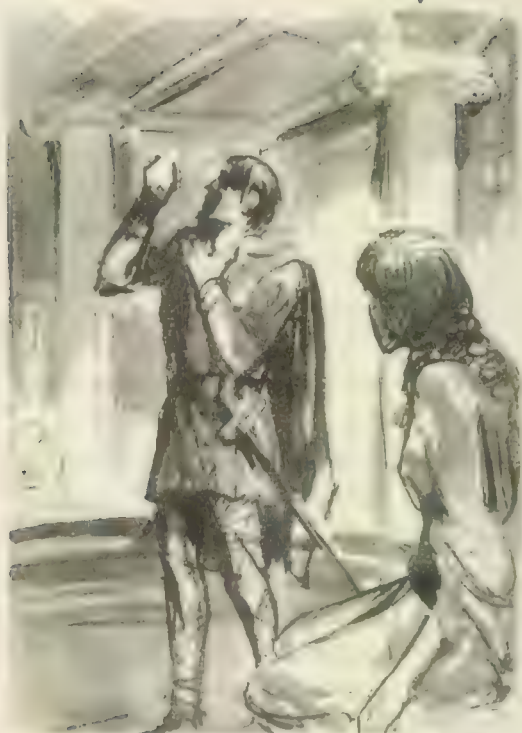
- « وإلا فمن ذا الذي يتحمل سياط وسخرية الزمن ..
وظلم الظالم .. وكبرياء المغتر .. وعذاب الحب
المهين ..

وبطء العدالة .. وما يلقاه ذوو الكرامة على يد
التافهين .

وهو يستطيع أن ينهى كل هذا بطعنة من حنجر
مسلول ؟ »

وهنا رآها فابتسم .. وعاد إلى عالمنا ..
نظر لها كأنما يطلب رأيها فيما قاله .. فقالت في تردد :
- « حسن .. لم أفهم كل شيء .. أعرف أنك تقول
هذا .. لكن ربما لو حاولت ترجمته إلى العربية لكان
من الممكن أن ... »

مستكراً هتف وهو يرمقها :
- « إنه بالعربية ! هذا (المونولوج) الذي سال له
لعاب الممثلين في كل الأجيال .. وأداه (لورانس أوليفيه)



جلست (عبير) - التي صارت (أوفيليا) - على مقعد تصفي
لهذه الأبيات ..

و (بن كنجسلى) و (محمد صبحى) و (يوسف شاهين) ..
إنه قطعة من الفن الرفيع !
صاحت مبهوتة :

- « رفيع .. ربما .. لكنى لا أفهم حرفاً منه .. »
- « هذا غريب يا (أوفيليا) .. من الطبيعى أن
أبطال المسرحية يفهمون جيداً لغة المسرحية .. أنا
- فى هذه الأبيات - أتساءل عما إذا كان على المرء أن
ينتحر أم لا .. لعل الانتحار يحل مشاكل عديدة ..
لكنى خائف مما بعد الموت .. »

- « ولماذا لا تقول ذلك وينتهى الأمر ؟ »

- « إن هذا تهريج ! »

كذا صاح واحمر وجهه ، واحتقت أوردة عنقه ..
وأردف :

- « هذا هو ما يجعل (شكسبير) (شكسبير) ..
اللغة الفخمة المتقنة .. والاستطراد .. إن أى بطل
لـ (شكسبير) لا يقدر على طلب كوب من الماء ، إلا
إذا ألقى ربع ساعة من الشعر .. »

ثم راح يسألها فى تهكم وقد عاد إلى جو المسرحية :

- « أجيلة أنت ؟ إذا كنت شريفة جميلة فإن شرفك

ينبغى أن يحفظ جمالك من الابتذال .. »

واستطرد وهو يمسك بمعصمها :

- « إذا كان لابد أن تتزوجي ، فلتتزوجي رجلاً
أحمق .. فعلاء الرجال يتحولون على أيديكن إلى
خراف .. وداعاً ! »

وجدت (عبير) نفسها تندمج في الجو .. فقالت
بذات اللهجة المسرحية الفخيمة :

- « آه .. يا لهذا العقل النبيل الضائع ! لسان أمير
وبصر عالم وسيف محارب .. أينتهى إلى هذا
الحضيض ؟ هذا الحضيض ؟ »

وهنا انزاح الستار وبرز رجلان .. ما إن غادر
(هاملت) المكان ..

كان أحدهما الملك والآخر (بولونيوس) أباهما ..
وكانا يسمعان الحوار وهما مختبئان خلف الستار كما
يحدث في كل المسرحيات ..

قال الملك في ضيق :

- « إن حديثه مضطرب لكنه ليس مجنوناً .. إن
الكآبة تعشش في روحه ، وأخشى أن تفرخ وتفقس
شيئاً خطيراً ..

أرى أن يسافر (هاملت) إلى إنجلترا .. فلعل
البحر يصرف عنه ما كاد يستقر في فؤاده .. »

قال (بولونيوس) :

- « لا بأس بها فكرة يا مولاي .. لكن إن رأيت
من المناسب فصل أمه الملكة أن ترجوه بعد الحفل ،
كى يكشف لها عن سر حزنه .. ولتكن معه حازمة ..
ولسوف أتولرى أنا خلف ستار لأسمع ما يقولان .. »
- « إن جنون العظماء لا يمرّ دون مراقبة .. »



بدأت (عبير) تسترجع مسرحية (هاملت) إلى
حدّ ما ..

من الذى لا ينكر أحداثها أو سمع عنها بشكل أو بآخر ؟
(هاملت) أمير (الدانمارك) الذى توفى أبوه
بشكل غامض .. وعلى الفور تزوجت الأم أخ القليل ..
عم (هاملت) .. (كلوديوس) ..

وصار (كلوديوس) هو ملك (الدانمارك) ..
كان هذا محزنا للفتى .. لكن الأسوأ هو شك خالطه
فى أن يكون عمه هو قاتل أبيه .. وكاد هذا الشك يقتله ..
وهنا يخبره (هوراشيو) صديق (هاملت) - بقصة
غريبة ..

إن الحراس فى القلعة يرون شبح الملك الأب كل
ليلة ، أو كذا يزعمون ..

ويصمم (هاملت) على مقابلة الشبح .. ويكون له
ما أراد .. ويتم اللقاء فى القلعة عند منتصف الليل ،
وعلى مرأى من (هوراشيو) وأحد الحراس ..
قال له الشبح أخبارًا غريبة حقًا :

- « أى (هاملت) .. أصغ إلى .. لقد قيل للناس
إن حية لدغتنى وأنا نائم فى بستان القصر .. ولكن
- فاعلم - إن الحية التى لدغتنى تلبس الآن تاجى ! »
فصاح (هاملت) مذعورًا :

- « يا لروحى المتنبئة ! أعمى هو الذى ... ؟ »
- « نعم .. فبينما أنا نائم فى البستان ، تسلل عمك
إلى بزجاجة من سم (الهيبونا) اللعين .. فصب فى
أذنى تلك القطرات القاتلة التى تسرى سريعًا كالزنبق
فى فتحات الجسد .. وهكذا انتزعت من الحياة وأنا
مازلت بخطاياى .. لم أظهر أو ألتمس الغفران .. بل
أرسلت إلى الحساب .. »

بالطبع راح (هاملت) يتلوى .. ويسد أذنيه ..
ويأتى بتلك الحركات المسرحية التى تدل على شدة
الألم .. على حين واصل الشبح تعذيبه :
- « إن كانت فىك نخوة فلا تسكت على قاتلى .. »

ولكن لا تدبر أى مكروه لأمك .. دعها للندم ولأشواك
الآلم .. والآن وداعا ..

وداعا .. لا تتسنى يا (هاملت) ! «
ويختفى الشبح ، فيجد (هاملت) فرصة رائعة
لإظهار براعته فى التمثيل .. فيظهر صدمته وكراهيته
لعمه .. ثم ينادى (هوراشيو) والحارس يخبرهما
بما سمع .. ويجعلهما يقسمان على الطريقة اللاتينية
(هك إيوبيك) - أى هنا وفى كل مكان - على ألا
يذيعا السر ..

ويصمم على أن ينتظر ليرى .. ويلعب دور
المجنون الذى يتيح له أن يقول كل شئ فى أية
لحظة ..

لماذا لم يقتل عمه فوراً مادام قد تأكد من خيانتة ؟
يرى كثير من النقاد أن (شكسبير) لو فعل هذا
لانتهت المسرحية بعد عشر دقائق ولخرب بيته ..
لهذا اضطر (هاملت) إلى أن يبقى على شكه وتردده
خمسة فصول كاملة .. وهذه هى نقطة ضعف
المسرحية وسبب ترهلها الدرامى فى رأى البعض ..
ما علينا ..

بدأ (هاملت) يمارس كل طقوس الجنون ، حتى

أثار دهشة كل رجال البلاط .. وظن (بولونيوس)
الحكيم أبو (أوفيليا) - أن الحب هو سبب ما أصاب
الفتى .. إن الأمير يحب ابنته بجنون وهذا هو تفسير
كل شيء ..

وكما رأينا (هاملت) فى البداية ، يهيم الأمير على
وجهه فى أرجاء البلاط ، يقرض الشعر ، ويحلم
بالانتحار .. لكنه لا يفعل شيئا على الإطلاق ..
والجميع يتساءل : ماذا دها الأمير الشاب ؟



هنا جاء دور (المسرحية داخل مسرحية) ..
لقد صنع (هاملت) على أن ينصب كميناً لعمه
يعرف به ما إذا كان الشبح صادقاً ، أم هو شيطان
يتلاعب به ..

يقرر دعوة فرقة مسرحية لتلعب فى البلاط
مسرحية قديمة اسمها (اغتيال جونزاجو) .. وقصة
المسرحية تبدو مألوفة بعض الشيء ..

إنها تحكى عن دوق يقتله ابن عمه ويتزوج أرملته ..
هذا هو الكمين ! سيراقيب وجهى الملك والملكة
- أمه - فى أثناء العرض ، ولسوف يعرف ما إذا كانت
أثمين أم لا ..

وجاء اليوم الموعود ..

وجلس البلاط كله حول الممثلين المسرحيين ، وبدأ العرض .. لكن (هاملت) لم ير ما كان ينتظر رؤيته .. ولم يتعرف ما يسمعه من حوار ..

إن المسرحية تحوى قتلاً .. لكنه ليس القتل المتوقع .. ويهمس بغيظ فى أذن مدير الفرقة :

- « هذه ليست مسرحية (اغتيال جونزاجو) .. بخجل قال الرجل :

- « للأسف يا سيدى الأمير .. لم نجد الممثلين مستعدين لها .. فقررنا أن نلعب مسرحية أخرى بها خيانة وقتل أيضاً ! »

- « يا فرحتى ! وما اسم هذه المسرحية ؟ »

- « اسمها .. اسمها (عطيل) يا سيدى ! »



راحت (عبر) / (أوفيليا) ترمى الممثلين ؛ حيث جلست جوار (هاملت) الحائق ، الذى أفسد غباء الممثلين خطته المحكمة ...

على المسرح ظهر (عطيل) .. عملاق أسمر أقرب إلى الزنوج .. شديد المراس حارّ الدماء قصير الفتيل .. ما إن تشعله حتى ينفجر فيك ..

(عطيل) - كما سنعلم - هو بدوى مغربى نرح
إلى (فينيسيا) - البندقية - وخدم فى جيشها ، حتى
ترقى وصار قائداً عظيم الشأن ..

ومازال المترجمون حائرين فى الترجمة المثلى
لاسم (أوتيللو) الذى صاغه (شكسبير) لبطله ؛
فمنهم من رأى أن يترجم بـ (عطاء الله) ، ومنهم
من رأى أن يترجم بـ (عطيل) .. وهو الاسم الذى
شاع واشتهر ..

إن مسرحية (عطيل) هى دراسة نفسية شائقة
لانعدام الثقة بالنفس فى (عطيل) أسود البشرة فى
الأربعين من عمره ، لهذا لا يجد فى نفسه من
الصفات ما يؤهله للاحتفاظ بحبّ حسناء بيضاء هى
(ديدمونة) ..

وشعرت (عبير) بيد (هاملت) تنهضها .. فعرفت
أنها ستكون هى (ديدمونة) أمام هذا الوحش الإفريقى
الكاثر (عطيل) ..

كان (عطيل) فى هذه اللحظة بالذات يصغى إلى
(ياجو) ..

وبئس ما يقول (ياجو) !

★ ★ ★

٤ - شخصيات .. شخصيات ..

(ولا علاقة لهذا بالفصل الثانى)

يقول (ياجو) حامل علم (عطيل) :

- « لقد وجدت المنديل مع (كاسيو) .. ماذا تصنع

لو قلت إننى سمعته يتحدث عن (ديدمونة) يقول كذا

وكذا .. كما يفعل مرضى النفوس الذين ما إن يظفروا

بمعشوقاتهم لا يملكون الكتمان .. »

يسأله (عطيل) مهموماً :

- « وماذا قال ؟ »

- « آبه .. آبه كان بقربها .. معها »

يصرخ (عطيل) فى هلع :

- « بقربها ! معها ! المنديل ! ليعترف ثم ليشنق ..

بل ليشنق ثم ليعترف .. إننى أرتجف لمجرد تصورى

تلك الخيانة .. لعنة الله عليهما ! »

- « حسن .. إن (كاسيو) قادم .. أريد منك أن

تتوارى .. واسمع ما سيقول (كاسيو) .. »

ويختبئ (عطيل) .. وهنا يدخل (كاسيو) البريء
المسرح .. هذا هو ما يحدث في المسرحيات دومًا ..
كان بوسعه أن يرى (عطيل) يختبئ ، وكان بوسعه
أن يسمع ما قيل ويدافع عن نفسه .. لكن الناس صمّ
في المسرح دائمًا لا يسمعون إلا ما يريد المؤلف أن
يسمعه ...

وبهذا المنطق ذاته .. صاح (ياجو) والمفترض
أنه يكلم نفسه :

- « الآن سأسأل (كاسيو) عن فتاته (بيانكا)
اللعوب .. سيجيب بالتبسّم والإشارات .. ولسوف
يجنّ (عطيل) وهو يرى ويسمع .. »

ويدخل (كاسيو) .. فيقول له (ياجو) بخبث :
- « حاول التماس الشفاعة من (ديدمونة) .. »
- ثم يهمس حتى لا يسمعه (عطيل) - « لكن
(بيانكا) ستحقق لك ما تريد .. »

طبعًا يقع (كاسيو) في الشرك ، فيبدأ في الكلام
عن (بيانكا) ضاحكًا :

- مسكينة هي ! إنها تحبني بجنون .. لقد جاءت
لشاطئ البحر منذ أيام وأنا وسط القوم ، فأحاطت
عنقى بيديها وراحت تتأرجح وتبكي .. هاهاها ! »

(عطيل) فى مكنه يوشك على الجنون .. والأخ
(كاسيو) لا يخطئ مرة واحدة ، فيذكر اسم (بيانكا) ..
هكذا يريد (شكسبير) ..

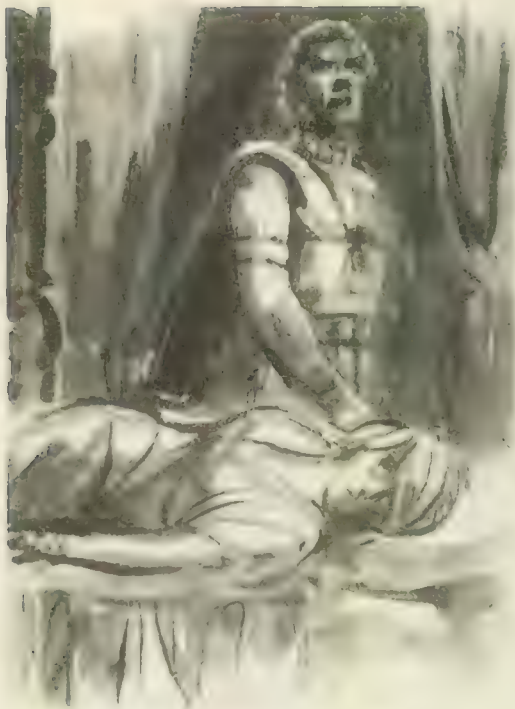
وأتصرف (كاسيو) فخرج (عطيل) من مكنه
يولوز ويعدّد محاسن الخائنة (ديدمونة) التى خانتّه
مع هذا الوغد (كاسيو) ..

إن (ياجو) يتلاعب بقائه .. يوحى إليه بأن امرأته
تخونه ، بينما هى الشرف والطهر ذاتهما ..
والنتيجة هى أن (عطيل) يقرر خنق محبوبته هذه
النيئة ..

وها هى ذى (عبير) فى مخدعها فى دور (ديدمونة) ..
إنها مذعورة .. فهى تعلم جيّداً أن (عطيل)
سيقتلها وهى بريئة .. لكن ما جدوى محاولة التغيير ؟
إن أمنها الوحيد هو أن تنتهى المغامرة سريعا قبل
أن ...

يدخل (عطيل) متظاهرا بالرقّة .. لكنها ترى الشر
فى عينيه .. فتغمض عينيه ..

قال وهو يتأملها فى أثناء نومها والمصباح جوار
فراشها :



وها هي ذى (عبير) فى مخدعها فى دور (ديدمونة) .. إنها
مذعورة .. فهي تعلم جيداً أن (عطيل) سيقتلها وهي بريئة ..

- « لنطفئ المصباح .. إن أطفأتك يا وزير النور
يمكننى أن أشعلك من جديد .. لكنى متى أطفأت نارك
يا أبدع مثال للجمال ، فلا نيران تقدر على أن تعيد
إليك هذا النور والبهاء .. (يلثم شعرها) .. يا للعطر
الزكى الذى يغرى العدل بتحطيم سيفه ! »
تفتح (عبير) عينيها تتأمل هذا الثور الأسمر الذى
يرمقها فى حنان مرعب ، وتتساءل .. هل سيفعلها
الآن حقاً ؟

قال لها فى هدوء صارم :

- « هل صليت الليلة يا (ديمونة) ؟ »

- « نعم سيدى .. »

- « استغفرى الله لذنوبك .. فأتا لا أريد قتل نفس

خاطئة .. سأجول قليلاً حتى تفرغى .. »

- « أتذكر القتل ؟ »

- « أذكره .. »

- « إذن لترحمنى السماء ! »

- « آمين .. أقولها من قلبى .. »

ونفض قليلاً مبتعداً ريثما تفرغ من صلاتها ..

وهنا انطفأ المصباح وساد الظلام ..

نهضت (عبير) من الفراش مذعورة ، فالأسود

العظيم المتجاسس يجثم على أنفاسها .. راحت تتلمس
المكان حولها متوقعة طعنة (عطيل) النجلاء فى
صدرها .. فى أية لحظة ..

لكنها بهذا تنسى شينين .. أولاً : (ديدمونة) ستموت
مخنوقة لا طعناً .. ثانياً : لا أحد يموت بهذه السهولة
فى مسرح (شكسبير) .. لا بد من خطبة طويلة عصماء
توشك أن تزهق أرواح المتفرجين قبل روح القتل ..
إن الظلام يعدّ المخدع لجريمة قتل ...

لكنها ليست جريمة قتلها هى ..

هى ذى ترى - إذ تعتاد عينها الظلام - جسد
إنسان يغفو فى المخدع حيث كانت تنام ..

وقبل أن تفهم أو يصيبها الذعر من جديد ، رأت
من ينسل فى خفة من باب المخدع .. هل هو (عطيل) ؟
لا .. إنه أصغر حجماً .. ثم إنه يتصرف كالمتمارين ،
و (عطيل) كان يتصرف بثقة رب الدار ...

ورأت المتسلل المتشع بالظلام يستلّ خنجرًا ... ثم
- دون تردد - يولج السلاح المميت فى صدر النائم ...
قال النائم شيئاً ما ثم واصل نومه إلى الأبد ..

كاد الهلع يفتك بها .. هرعت إلى باب المخدع
وجرت .. ما هذا ؟ ما معنى ما يحدث ؟

كان الظلام سائدا بالخارج فيما عدا ضوء المشاعل ،
وأدركت أنها لم تعد فى قصر البندقية الفخيم ، بل هى
فى قلعة بدائية من قلاع القرون الوسطى .. إنها
مسرحية أخرى ولا ريب ... لكن ما هى ؟
الغريب كذلك أنها صارت أقل رعباً وأقوى شخصية
وثباتاً .. لنقل إنها خائفة .. لكنها خائفة على حامل
الخنجر لا منه !

وسمعت صوت القادم .. كان يحمل الخنجر الملوث
بالدّم .. وهامسا قال لها :

- « قضى الأمر .. ألم تسمعى شيئا ؟ »

- « لا شيء سوى اليوم وصراصير الليل .. »

قالتها غير عالمة لم قالتها .. ورائه يرمى يديه
الدمويتين فى استبشاع :

- « هذا منظر شنيع .. »

- « من الحمق أن تقول ذلك .. »

- « كلا .. لقد سمعت صارخا يصيح بى : لن تنام

يا قاتل الرقاد .. (جلاميس) - (كودور) - (ماكبث)

لن ينام ! »

آهاه ! إذن هى مسرحية (ماكبث) .. وهى تلعب

دور (ليدى ماكبث) الزوجة التى أغواها الطموح ..

فجعلت زوجها يقتل ..

تقول له فى قسوة وثبات :

- « اذهب والتمس بعض الماء تغسل به أثار الدم ..
لا تنس أن تلوث الحارسين النائمين ببعض الدم كي
تلتصق بهما التهمة .. »

رأته ينظر ليديه غير مصدق .. يداه ترتجفان بقوة :
- « دم ! لو اجتمعت بحار العالم جميعاً كي تغسل
هذا الدم ما استطاعت .. »

قالت فى قسوة لم تتبدل :
- « هاتان يداى بلون يدك .. لكنى أخجل أن يكون
لى قلب جبان كقلبك .. »

ودون تردد عادت إلى المخدع لتملاً كفيها ببعض
من دم القتل ..

ثم عادت لتسكبه على الحارسين ...
فما إن فرغت حتى دعت زوجها المذعور إلى
غرفتهما .. فما ينبغي أن يراها أحد ها هنا



اسمه (ماكبث) .. القائد الأسكتلندى الكبير ..
الذى يعمل تحت إمرة الملك طيب القلب (دنكان) ..
بدأت متاعبه حين قابل العرافات الثلاث فى الفلاة ..
فحينه .. وقلن له إنه سيكون سيد (جلاميس)
(كودور) .. بل وملك أسكتلندا ذاتها ..

أما عن صديقه (دنكان) ففتبأن له بأنه سينجب ملوكا ، لكنه لن يغدو ملكا ! وحين عاد (ماكبث) إلى داره ، أخبر زوجته (عبير) - معذرة .. أعنى ليدي (ماكبث) - بنبوذة العرافات ...

وسرعان ما تحقق أول شقين من النبوءة .. فماذا يمنع من تحقق الشق الثالث ؟ وتلعب (عبير) دور (إبليس) بالنسبة له .. وتروح ليلا نهارا تزين له الأمل .. لم لا يكون أكثر جرأة ؟ لم لا يكون أكثر إيجابية ؟ إن الطموح لا يتحقق لنفس ضعيفة .. و(فاز باللذة الجسور) و (وماتيل المطالب بالتمنى ولكن تؤخذ الدنيا غلابا) ..

راحت تغريه بقتل الملك (دنكان) حتى يخلو له العرش ..

وجاءت الكارثة حين قرر الملك العادل أن يزور قلعة (ماكبث) ضيفا على قائده الباسل ..

رتبت ليدي (ماكبث) كل شيء .. سوف تخدع حارسي الملك ، ثم يتسلل الأخ (ماكبث) إلى مخدع الأخير ليذبحه ..

وقد تم كل شيء .. وترك ابنا الملك أسكتلندا مكتئبين .. فلم يعرف أحد قط أن (ماكبث) هو القاتل ..

وصار (ماكبث) ملك أسكتلندا ..

★ ★ ★

لكنه لم يشعر بالراحة على الإطلاق ...
فهو ما زال يذكر نبوءة العرافات .. ويذكر أنهم
بشرون (باتكو) صاحبه بأنه سينجب ملوكا .. معنى
هذا أن أولاد (باتكو) سيرثون ما قتل (ماكبث)
الملك لأجله .. وإذن هو قد كافح من أجل أبناء
صديقه !

وراح يردد في مرارة :
- « صار التاج على رأسى عقيما .. ولن يخلفنى
طفل من صلبى .. ليست العبرة فى أن تكون ملكا ..
العبرة أن تكون آمنا .. »
وسرعان ما تقرر ليدى (ماكبث) أن تقتع زوجها
بقتل صديقه (باتكو) وولده ..
ولهذا دعت أشراف أسكتلندا ونبلاءها إلى مأدبة
كبرى ..

وكانت الخطة ناضجة .. والخيانة قد أثمرت ...
فقط عليهما أن يجنيا ثمارها ..

★ ★ ★

٥ - اجتماع الإدارة ..

كانت (عبير) منغمكة في سعادة في الإعداد لمقتل (باتكو) ، وكان (ماكبث) متحمسا لهذا الجزء بشدة .. فهو قد بدأ يستسيغ الأمر بعد ما كان مترددا تجاه اغتيال الملك (دنكان) ..

لكن (ماكبث) تلقى رسالة حملها إليه أحد الفرسان المغبرين ، قرأها فامتقع وجهه .. وقال لها وهو يطوى الورقة :

- « هناك اجتماع مهم الليلة في مسرح (جلوب) ..
إن (شكسبير) يريدنا ! »

كادت تقول إنها لا تفهم .. ثم تذكرت أن هذه هي (فانتازيا) حيث لا مستحيل ولا حدود لزمان أو مكان ..



المكان : مسرح (جلوب) .. في مقاعد الصالة ..
الحدث : (ويليام شكسبير) يلتقى بأبطاله للحديث عن مشكلة طارئة ..

فى فضول راحت (عبير) تتأمل (شكسبير) الذى
قالوا إنه أعظم من كتب للمسرح .. أروع من كتب
بالإنجليزية .. أفضل من عبّر عن نفس الإنسان قبل
عبرى روسيا (دستويفسكى) ...

كان أصلع الرأس .. وكأنما يعوض ذلك بإطالة
الشعر على جانبيه رأسه كى يغطى عنقه ، وكانت له
نظرة ثقيلة سمجة لا توحى بالعبرية ، وشارب رفيع
كالذى يهوى الأوغاد تربيته .. الخلاصة أنه بدا لها
مخيلاً للآمال .. ثم تذكرت أنها تراه كما رسموه لا كما
هو فى الواقع ..

كل أبطال قصصه يرمقونه فى اتبهار وتقديس ..
إنه أبوهم الذى أوجدتهم فى العالم ، وخلص ذكراهم ،
ما ظنّ طلبة كلية الآداب يتحدثون عن (العاصفة) ،
وما ظنّ كل عاشق يسمّى بـ (روميو) ، وما ظنّ
طلبة المستوى الرفيع مطالبين باستذكار (هاملت) ،
وما ظنّ هناك مسرح كلاسى فى العالم كله ..

ها هم أولاء جميعاً : (هاملت) و (عطيل)
(ماكبث) و (الملك لير) و (روميو) و (بروسبرو)
(تاجر البندقية) و (يوليوس قيصر) و (أورلاندو)
(بتروشيو) و ... و

جلس (شكسبير) على منصة المسرح ، وسط
المشاعل التى ترمى ظلالها فى كل صوب .. وتجعله
كرسم تأثيرى قديم ...

وبصوت رخيم قال :

- « يسرنى أنكم جميعا ها هنا .. حتى أنت
يا (ماكبث) .. لقد ناديتك وأنت منهمك فى التدبير
لاغتتيال (باتكو) .. »

قال (ماكبث) من مقعده فى الصالة بصوت متهدج
قليلا :

- إن أوامرك لأترد يا سيدى .. »

ابتسم (شكسبير) فى حزن .. وقال :

- « إننى أتذكر مسرحيتك جيدا .. كنت قد كتبتها

عام ١٦٠٣ عندما تولى (جيمس الأول) حكم البلاد ..
لكنها لم تطبع إلا عام ١٦٢٣ ، بعد وفاتى بسبع
سنوات ، وكانت فى مجلد واحد مع (هاملت)
و (يوليوس قيصر) .. إنها قصة واقعية استمددتها
من قراءتى فى جريدة تاريخية .. وسمحت لنفسى أن
أغير بعض الأشياء فى حقائق التاريخ .. فمثلا لم يكن
(دنكان) بالملك الشهم العادل الذى وصفته .. بل
كان وضيعا جبانا .. »

ثم مسح جبينه وقال مستدركاً :

- « ما علينا .. تصوروا أن أجرى عن هذه المسرحية
لم يتجاوز مائة جنيه ؟! لكننى - حقاً - كنت ثرياً ..
وكنت أملك أسهماً فى مسرحين .. واعتدت أن أقرض
الناس بالربا .. »

دعونا الآن نتوقف قليلاً لنعرف شيئاً أو شينين عن
هذا المؤلف العظيم .. إن (عبير) لا تعرف ولا يهمها
أن تعرف ما سنقول الآن ..

إن (ويليام شكسبير) أديب اتجلترا العظيم ، هو
قروى ولد فى قرية (ستراتفورد فون آفون)
عام ١٥٦٤

كثير من النقاد يشك فى وجود (شكسبير) ..
البعض يقول إنه أكذوبة كبرى اخترعها أديب آخر هو
(فرنسيس بيكون) ، الذى كان يخجل من أن يعرف
أحد أنه يكتب للمسرح .. ويقولون إن اللقب الخاص
بـ(بيكون) هو (الذى يهز رمح الملك) أى Shake Spear ..
وهذا ما أوحى له بالاسم ..

هناك من زعم أن (شكسبير) هو رجل عربى
اسمه (الشيخ زبير) ..

ولا أعرف - بأمانة - أساس هذا الزعم ...
لكن أكثر علماء اللغة يؤكدون أن (شكسبير) هو
(شكسبير) ..

عاش (شكسبير) حياته ما بين (لندن) وقريته ..
كان يجد نفسه حقاً فى المسرح .. وكل مسرحياته
العبقريّة هذه إنما كتبها على سبيل (أكل العيش) ..
وهذا ما يجعل النقاد فى ذهول من ظاهرة (العبقريّة
حسب الطلب) هذه .. والأكثر غرابة أنه لم يكن يكتب
مسودّات أو يشطب .. فكل مسرحية لدينا هى الصياغة
الأولى من قلمه .. كما هى !

لكن مأساته الحقيقيّة كانت هى زواجه الفاشل من
امرأة تكبره بثمانيّة أعوام هى (آن هاثاواى) .. فقد
نغصت حياته وأرهقته .. ويقول النقاد المدققون إنها
ألهمته بأفزع مسرحياته : (هاملت) عبقريّة التردد ..
(ماكبث) عبقريّة الطمع والخيانة .. و(عطيل)
عبقريّة الخداع والغيرة .. و(لير) عبقريّة الجحود
والعقوق .. ويا له من إلهام !

أنّج (شكسبير) أربعاً وثلاثين مسرحية ، ومائة
وأربعاً وخمسين قصيدة .. ثم مات فى أبريل عام
١٦١٦ عن عمر يناهز اثنين وخمسين عاماً ..

لكن الأدب الإنجليزي - والعالمي - لم يعد بعده كما
كان قبله ...

فحق له الخلود .. وحق له هذا الموضوع المتميز
فى (فانتازيا) ..



جلس (شكسبير) يتأمل فى رضا أبطال قصصه ..
كل هؤلاء بمن فيهم من ملوك ومرابيين وشحاذين
وحفارى قبور .. ومنهم من هو داتماركى أو بريطانى ..
أو إيطالى .. كلهم من بنات أفكاره ..

راح يطمئن على أحوالهم فى رقة :
- « (هاملت) .. أما زلت مترددا بشأن الانتحار
أو قتل (كلوديوس) ؟

وأنت يا (شايلوك) .. لا تحاول استرداد دينك
أرجوك .. هل تحسنت صحتك أيها الملك (لير) ؟
قلت لك يا (بروتوس) ألا تترك الفرصة لـ (أنطونيو)
كى يواجه الجماهير من بعدك .. »

ثم نظر إلى (عبير) وابتسم :
- « وأنت .. بطلتنا الأنثوية الدائمة .. أنت (أوفيليا)
و (جوليت) و (كاترين) و (ميراندا) و (ديدمونة)

و ليدى (ماكبث) .. الحق أنك تعيشين خبرات لا حصر
لها .. »

قالت (عبير) فى كياسة :

- « إن هذا يشعرنى بالدوار .. فلا قصة تكتمل ..
كلما بدأت أعيش أحداث قصة أجدنى مطالبة بالبدا
من جديد .. »

ضحك متفهماً وقال :

- « لا يشترن هذا حفيظتك .. إن كل الممثلات فى
التاريخ تمنين أن يخضن هذه التجربة التى تخوضينها
الآن .. »

قال له (هاملت) وقد بدأت طبيعته المتوترة
الملول تتحرك :

- « إن جلوسنا معك ها هنا ليسعد النفس يا ريس ..
لكنى أظن أن هناك أمراً جلاً دعاك لجمعنا .. »

قال (شكسبير) - (هاملت) بتلك الابتسامة الرفيعة :

- « مهلاً يا بنى .. أعرف أنك مشتاق لرؤية تأثير
مسرحيتك على الملكة وعلى عمك .. لكنى دعوتكم
بالفعل لأمر جلل .. »

وأجال نظره فى الموجودين .. وغمغم مردفاً :

- « الحقيقة أن عالمنا يتأكل .. »
لم يبد الفهم على أى من الجالسين ..
ونفض (عطيل) العملاق الأسود ليقول فى
عصبية :

- « عالمنا يتأكل ؟ كيف ؟ »
- « هذه هى الحقيقة .. نحن نتلاشى .. »
- « كيف ؟ »

قال (شكسبير) وهو يجيل عينيه فى الحضور ،
وقد استحوذ على اهتمامهم بالكامل :

- « لا أدرى .. لكن قطاعات هائلة من هذه المملكة
تختفى يوماً تلو الآخر .. أمس بحثت عن أبطال
مسرحية (كما تحبها) - (أورلاندو) و (روزاليند) -
فلم أجدهم .. بحثت عن الغاية التى تجرى فيها الأحداث
فلم أجدها .. كل شيء كتبته لم يعد هناك .. »

قال (ماكبث) فى قلق :

- « لهذا لم يأت أحد منهم ها هنا .. »
- « ولم يكن هذا كل شيء .. فمئذ أسبوع لم أجده
أبطال مسرحية (حلم ليلة صيف) .. ومن المؤسف أننى
نسيت نصها ولم يعد بوسعنى أن أكتبها من جديد .. »

ورفع عينيه إلى السقف ، مقطباً في خطورة :
- « إن عالم (شكسبير) في (فانتازيا) يضيق
يوماً بعد يوم .. وأعتقد أننا نواجه خطراً داهماً .. فلو
تلاشيتم أنتم لتلاشيت أنا كذلك .. ولغاب ذكرى .. »
أشار (هاملت) إلى (ماكبث) في عصبية ،
وباتهام قال له :

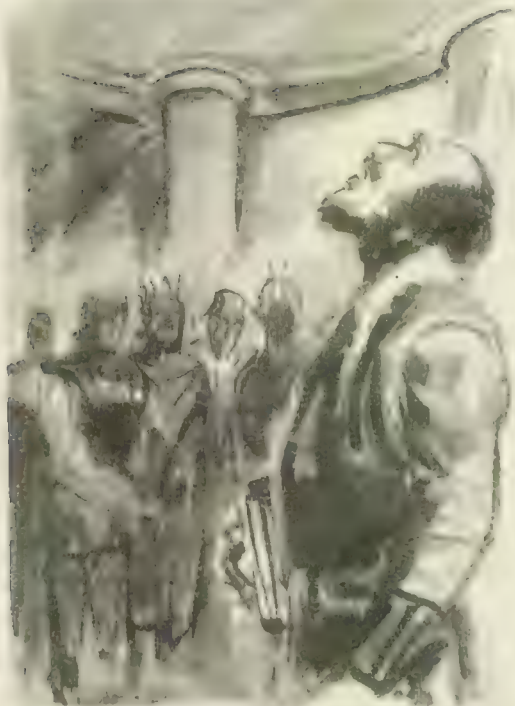
- « أنت السبب دون شك .. »

- « هل جننت ؟ »

- « إن جرائمك التي لا تنتهي قد جعلتنا جديرين
باللعن .. فأنت أشرُّ أبطال (شكسبير) طراً .. والوحيد
الذي قتل دون مبرر كاف .. »
احمرَّ وجه (ماكبث) ، وهتف ولعاب الحماسة
يتطاير من فمه :

- « يا سلام ! ألم يقتل (عطيل) فتاة طاهرة بريئة ؟
ألم تقتل أنت عمك ؟ »

- « بلى .. لكن (عطيل) كان ضحية مؤامرة جعلته
يجنَّ غيره .. وأنا قتل قاتل أبي .. أما أنت فكنت
تقتل .. تقتل لماذا ؟ من أجل الطموح لا أكثر
ولا أقل .. »



ورفع عينيه إلى السقف . مقطبًا في خطورة :
- إن عالم (شكسبير) في (فانتازيا) يضيق يومًا بعد يوم ..

هنا مذ (ماكبث) يده لينتزع السيف من قرابة ،
ويصيح فى (هاملت) :

- « كفاك إهانات ! فلنسو الأمر إذن رجلاً لرجل ..
والويل لمن يصرخ أولاً : توقف ! »
- « كفى يا أبنائى ! »

كذا صاح (شكسبير) فى حزم .. فالجو بدأ
يتكهرب ، ويبدو أن أفضل بطلين لقصصه يوشكان
على أن يفتكا ببعضهما .

لم يقتصر الأمر على هذا ... فقد اشتبك العجوزان
(بروسبرو) والملك (لير) فى شجار يليق بسنهما ،
وراحا يجذبان الحصى ويتبادلان اللكمات .. فتدخل
(عطيل) ليمسك برقبة كل منهما - كالدجاجة -
وببعدهما عن بعضهما ..

- « كفى يا أبنائى ! »

عاد (شكسبير) يكرر تحذيره .. فتوقف الجميع
عن القتال ، وأرهفوا السمع إلى ما سيقول ..

- « ليس الخطأ خطأ واحد منكم .. إنما هى مجموعة
أسباب أدت لما يحدث .. وأعتقد أن عندى فكرة
معقولة عنها .. »

وفتح أنامل يده اليسرى ليعدّ عليها بيده اليمنى ..
أولاً : لم يعد هناك من يهوى القراءة .. من يقرأ
لا يفهم .. ومن يفهم لا يتذكر .. ومن يتذكر لا يفعل
شيئاً بهذا الذي يتذكره ..

ثانياً : التلفزيون يحرز خطوات سبق لا يمكن
مجاراتها .. وهو لا يهتم كثيراً بعالم (شكسبير) ..
أو يقدمه بسطحية بالغة ..

ثالثاً : السوقية ترحف وتنتصر .. ومن الذي يبالي
بأحزان الملك (لير) فى عصر (كوز المحبة اتخرم) ؟
رابعاً : السطحية تنفشى كالوباء .. إن هموم
(هاملت) المعقدة لا تناسب مشاهدى تمثيلية الساعة
السابعة ، الذين اعتادوا المعانى القريبة الواضحة ..
الفرح هو الفرح .. الحزن هو الحزن .. التعالى هو
التعالى .. لكن لا شيء اسمه المزيج الخافت بين
العواطف .. لا شيء اسمه اللون الرمادى ..

إن الزمن الذى مات فيه (عبد الحليم حافظ) ،
وكسدت دواوين الشعر ، وتلخص الفن التشكيلي فى
صورة المرأة التى تلثم الشعبان إياها ؛ هو - حتماً -
ليس زمناً مناسباً لـ (شكسبير) وأبطاله ...

هنا نهض (أنطونيو) للمرة الأولى .. وقال
(شكسبير) بلهجة خطابية :

- « وما العمل يا رئيس ؟ هل نقبل الموت طواعية
أم نحارب من أجل حياتنا ؟ لقد حاربت طيلة حياتي
كما تعلم .. ولن تضيرني حرب أخيرة ضروس .. »
وهتف (هاملت) بدوره :

- « نكون أو لا نكون .. تلك هي المسألة .. »
ابتسم (شكسبير) في رضا .. وقال :

- « هذا هو ما توقعته منكم .. ومازلت يا لورد
(أنطونيو) قائراً على تهيج الجموع منذ خطبت
خطبتك العصماء في أهل (روما) .. هل تذكر
تلك الخطبة الرائعة ؟ وأنت يا (هاملت) تبدو لي
قائراً على التخلص من ترددك حين يتطلب الأمر
ذلك .. »

قال (بروسبرو) بلهجة عقلانية تناسب لحيته
الشهباء :

- « حسن .. كلنا معك .. ولكن ما هو الطريق ؟ »
- « سؤال جيد .. »

قالها (شكسبير) في تودة ، ثم مَدَّ يده إلى لغافة

من ورق كانت أمامه على المنضدة ، وفردها أمام
العيون ..

رأت (عبير) أنها أقرب إلى خارطة .. كأنها موقع
عسكرى يتم التخطيط لغزوه .. ماذا يريد قوله بالضبط ؟
مدّ (شكسبير) يده فالتقط بعض دبابيس الضغط ،
وقام بتثبيت الخارطة على الجدار من أطرافها الأربعة ..
- « هذا رسم كروى لمملكة (شكسبير) فى
(فانتازيا) .. »

وأشار إلى رقتين على أطراف الخارطة :

- « هنا كانت (كما تحبها) .. وهنا كانت (حلم
ليلة صيف) .. وكما ترون : يبدو الخطر داتياً جداً
من مسرحيتى (الملك لير) و (العاصفة) .. أعتقد
أننا سنفقد هما قريباً جداً .. »

ونظر حوله ليتيقن من أن العيون كلها ترمق
الخارطة باهتمام .. ثم أردف وهو يشير إلى نقطة
على الرسم :

- « كل الدلائل تشير إلى أن التآكل يبدأ من هنا ..
من الشمال .. يوجد شيء ما هنا ، هو المسئول عن
اختفاء مسرحياتى .. »

قال (ماكبث) فى ثقة :

- « أعرف هذا الموضوع .. إن الساحرات الثلاث
قابلتنى هناك »

- « ربما .. إن الحدس عسير بالنسبة لرسم مبسط
كهذا .. »

ثم قال بلهجة عملية كأنه قائد عمليات خاصة ، قد
فرغ من شرح الموقف لرجاله ، وهو الآن يدعوهم
للتحرك :

- « مهمتكم هى التحرك إلى هناك .. ومعرفة عدونا
المحتمل .. وتدميره .. »
سأله (ماكبث) فى لهفة :

- « وبعدها يمكننا الاستمرار فى ممارسة حياتنا ؟ »

- « طبعا .. إن بقى بعضكم حيا بعد كل هذا .. »

ثم تنهد ورفع عينيه ليرمى الجميع بنظرة نافذة ..
وسألهم :

- « هل من أسئلة ؟ »



٦ - ساعة الصفر ..

الآن يبدأ التحرك نحو الهدف ..
الهدف هو معرفة المسئول عما حلّ بعالم (شكسبير)
الساحر ..

وفى ضوء الفجر وقفت الخيول تصهل ، وتبعثر
الغبار بسنابكها ، وتقذف الدخان من مناخرها ..
على حين راح الأبطال يحتشدون للحركة ..
(هاملت) يستعد لركوب حصاته الأبيض ، شاعراً
بأهميته كبطل (شكسبير) الأول .. ولربما ابنه البار ..
(عطيل) فوق حصاته ، عملاق أسمر يطوح
بسيف هائل الحجم يمينا ويسارا .. فهو أستاذ فى
الكرّ والفرّ .. ومكسب حقيقى لأى جيش يضمه فى
صفوفه ...

الملك (لير) المتهالك ، و(بروسبرو) السقيم على
جواديهما .. لن يكون لهما دور كبير ، لكن إجادة
الأخير للسحر قد يكون لها دور مهم ..

(ماكبث) الطموح يتأكد من أن سيفه على ما يرام ..
بينما (بتروشيرو) بطل مسرحية (ترويض النمرة)
يتحدث بالإيطالية إلى تابعه ، ويتأكد من أن سرج جواده
يحوى كل ما يحتاج إليه ..

حتى (روميو) العاشق الإيطالى الرقيق لحق بهم ،
وراح يستعد للركوب فى هذه الحملة الفريدة من
نوعها ..

راحت (عبير) تجول بينهم .. وتقول لكل منهم
كلمة تشجيع .. فتارة تتحول إلى (ديدمونة) حين
تحدث (عطيل) ، وتارة هى (أوفيليا) حين تحدث
(هاملت) ، وتارة هى (كاترين) حين تحدث
(بتروشيرو) ..

هنا خطر لها أن الحملة تبدو مبعثرة أكثر من
اللازم ..

لابد من قائد .. وإلا تحول الأمر إلى مستعمرة من
النمل ركلت جحرها قدم عابثة .. ولتأثر الأبطال فى
كل صوب يفعل كل منهم ما يشاء ..

دنت من (بروسبرو) أكبرهم سنًا لتسأله فى
كياسة :

- « أ ... هل استقر أمركم على قائد ؟ »
نظر لها العجوز مفكراً .. ثم قال دون تردد :
- « يا له من سؤال ؟ أنا طبعاً .. فأنا أكبرهم
سناً .. »

هنا صاح الملك (لير) فى حلق :
- « أى سخف ! أنا أقاربك فى السن .. ثم إتنى
ملك ! »

هنا صاح (هاملت) فى لهجة من انتهى من
دراسة الموضوع :

- « كلاهما شيخ متهاك .. أنا أمير (الدانمارك)
وأهم شخصية كتبها (شكسبير) بشهادة النقاد جميعاً ..
أعتقد أن الأمر مهياً لى كى أتولى قيادة هذا الرهط .. »
قال (ماكبث) وعلى وجهه أمارات الاشمزاز :

- « تفو ! أنت متردد .. والجميع يعرف بطأك فى
اتخاذ القرارات ، أما هذه الحملة فتحتاج إلى رجل
طموح .. رجل يعرف ما ينبغى عمله .. وأنا
- (ماكبث) - هو ذلك الرجل .. »

- « كان هذا القاتل كان ينقصنا .. »
قال (عطيل) فى ثقة :

- « أنا قدت جيوشًا حقيقية يا سادة .. وأعرف تمامًا
كيف أقود حفنة من المترددين البائسين مثلكم .. »
هنا قاطعه (أنطونيو) مزدرياً :
- « هه ! لكنك لم تصنع أمجاد (روما) مثلى ..
لم تدخل المدن المفتوحة مكللاً بالغار ، وحولك أعضاء
مجلس الشيوخ ، وأمامك اثنا عشر (لكتوراً) يحملون
البنوس .. يا سادة إننى اعتدت النصر حتى صار
طبيعة ثانية لى .. وأعتقد أننى قادر على قيادة هذه
الحملة .. »

تفكر الملك (لير) قليلاً .. ثم قال :
- « هل تريدون رأى ؟ »
- « لا ! »
- « إنه رأى شيخ حكيم .. »
- « إننا نعرف الكثير عن قراراتك الحكيمة هذه ..
ألم تعط (انجلترا) كلها لطفنتين عاقنتين شريرتين ؟ »
تجاهل (لير) الملحوظة الأخيرة .. فلم يكن الوقت
مناسباً للشجار ..

وقال وهو يشير إلى (عبير) :
- ستكون هذه قائدتنا .. (كورديليا) الحبيبة .. »

تصاعدت الأصوات غير مصدقة :

- « (أوفيليا) ؟ »

- « (جوليت) ؟ »

- « (ديدمونة) ؟ »

- « (كاترين) ؟ »

- « (ميراندا) ؟ »

- « (إن هذا سخف ! »

وأضاف (ماكبث) فى لهجة متعقلة :

- « ما أتعس قومًا جعلوا امرأة قاندهم ! إن مأساتى

كلها هى أننى خضعت لزوجتى التى كانت أقوى
شخصية ، وأنفذ تأثيرًا .. »

قال (لير) بنفس اللهجة المتعقلة :

- « لكن (كورديليا) - أو كما يسميها كل منكم -

تختلف .. إتينا سنجعلها رمزًا لوحدتنا كما يخضع
البريطانيون لمملكتهم ، لكنهم لا يطيعونها ، ولا يدعونها
تدس أنفها فى كل شىء ! إن الشورى هى أساس
تحركنا .. لكننا لن نتحرك إلا بناءً على أمرها هى ،
وبعد تمحيص وتبادل آراء .. »

قال (هاملت) فى رضا :

- « لا بأس .. على الأقل سيلغى هذا عنصر التنافس
بيننا .. فما كنت لأنضم لحملة تحت قيادة ذلك الوغد
(ماكبث) .. »

قال (ماكبث) ليرد التحية بألحن منها :
- « وأنا أفضل السير وراء ظربان على السير خلفك
يا عزيزى .. »
- « شعور متبادل .. »

صاح (لير) فى حزم رافعاً يديه للسماء :
- « أما وقد هدأت مشاعرنا ، وأحببنا بعضنا ..
فلنبتهل إلى الرب أن يزلل لنا صعاب هذه الرحلة .. »
رفع الجميع وجوههم إلى السماء ، وراحوا يرددون
الأدعية الإيطالية والإنجليزية والدانماركية والعربية ..
أما (أنطونيو) فراح يبتهل لـ (زيوس) و (هيرا)
و دزينة كاملة من آلهة (الأولمب) الوثنية ..
أما (عبير) فلم تدر كيف ترفض أو ماذا تقول ..
إنها لم تقد قطعة فى حياتها .. فكيف تطالب باكتساب
مواهب القيادة فجأة ؟ وتقود من ؟ تقود أسوأ
مجموعة من السادة ضخام الأجساد معقدى النفوس
عرفها التاريخ !

ثم إنها لا تعرف المطلوب منها بالضبط

لقد قال (شكسبير) إن مملكته تتآكل بسبب التلفزيون والسطحية والسوقية ومقت القراءة ..

فهل ستجد هذه الأشياء واقعة تكشر عن أنيابها ، وتمزق كل من تسول له نفسه أن يدنو منها ؟

عندها ستكون مشكلة .. فكيف يمكن قتل السطحية ؟

إن (عيبر) لا تذكر أنها قتلت أى شيء سطحي فى حياتها .. إلا تلك الحشرات التى تدخل حجرتها من النافذة ليلاً ، لتملأ المكان صخباً ، ولا تموت إلا بالشبشب البلاستيكي الأحمر وبعد عناء .. فهل قتل السطحية عسير كقتل هذه الحشرات ؟

كأنما قرأ (بروسبرو) أفكارها .. قال لها :

- « أراهن على أن (برنارد شو) هو المسئول عن كل هذا ! »

- « من ؟ »

- « (برنارد شو) الأديب الإيرلندى الساخر .. فهو يكره (شكسبير) ويرى أن مسرحه ميلودرامى ردىء لا يناسب صفوة المثقفين .. »

ثم نظر إلى السماء .. فرأى قرص الشمس يعلو أكثر ..



ركبت حصانها .. لم يكن الأمر عسيراً كما هي العادة في
(فانتازيا) ..

صوت (روميو) قادم من خلف يترنم بأغنية
إيطالية ملأى بحروف (الراء) يقولها بصوت (تينور)
عميق ..

أما (هاملت) فهو عاكف على إلقاء مونولوجاته
الدنماركية الحيرى .. على حين يتسلى الملك (لير)
بالدعاء على ابنتيه الشريرتين ...

نهر .. أشجار .. أعشاب .. سنجاب يفرّ من هنا
لهناك .. طائر يولّى ذعراً إذ سمع صوت سناكب
الخيّل ..

خور صغير على جانب الطريق .. الصخور مغطاة
بالطحالب .. مسقط مياه صغير .. فلاحه عاكفة على
حلب بقرتها فى سطل خشبى ، فما إن ترى الموكب
حتى تتوقف لترمقه فى فضول ..

راع يعزف على الناي تحت شجرة ، وحوله خرافه
المشبيهة بندف من قطن أبيض بعثرته يد عابثة على
الكلأ ..

يتوقف عن العزف ليرمق الموكب .. ثم يسأل بلكنة
إنجليزية عتيقة الطراز :

- « هل أنتم ذاهبون للقتال يا سيدى ؟ »

يجبه الملك (لير) وهو مستمر فى السير :
- « نعم .. نحاول إتقاذ مسرحيات (شكسبير) .. »
ثم يفغم بصوت مسموع :
- « حتى هذا الراعى وخرافه سيتلاشون تمامًا لو
فشلنا فى مهمتنا .. »
- « لن نفشل .. »
يقولها (عطيل) وهو يتحسس سيفه فى غمده ..
وتستمر المسيرة الصامتة

★ ★ ★

وجاء الليل .. وصار المشى عسيرًا ..
الظلام يغلف الأشجار .. ويرمى عباءته على الكلا
كأنما يريد حمايته من البرد حتى الصباح ..
قال (بروسبرو) لـ (عبير) :
- « قد حان الوقت لنخيم ها هنا .. أصدرى أوامرك
إذن .. »

- « وماذا أقول ؟ »
تنهد فى نفاذ صبر .. وقال بتؤدة :
- « قولى : سنخيم ها هنا .. واضغطى على مقطع
(هنا) .. »

صاحت كما قال ..

فترجل الرجال جميعاً ، وشرعوا يربطون جيادهم ،
ويريحونها من السروج ..

قال (هاملت) وهو يتفقد المكان :

- « نحتاج إلى نار .. ولكن كيف نشعلها ؟ »

قال الملك (لير) وهو يتشمم الهواء :

- « صبراً .. لا بد من عاصفة رعدية ، ولسان برق

يشعل النار في أحد جذوع الأشجار .. إن هذا وارد في
كل مسرحياتي .. »

ثم أردف بعد هنيهة :

- « ولو أنه لا يوجد ما يبشر بهذا .. »

- « هذا لحسن حظنا .. فليس من المستحب أن

نمر بعاصفة رعدية ، ونحن في العراء بهذا الشكل .. »

هنا قال (بروسبرو) وهو يجلس القرفصاء :

- « صبراً .. ليست هذه بمشكلة على ساحر عظيم

مثلى .. »

وأخرج من كمه لفافة صغيرة .. فتحها فإذا ما بها

مسحوق أصفر .. التقط بعضاً منه بين سبائته

وإبهامه ، وتمتم عليه بعبارات غامضة .. ثم ألقى به

فوق جذع خشبي ملقى على الأرض ..

وسرعان ما تعالت ألسنة اللهب ...
أحياتاً يكون وجود السحرة مفيداً ..
وحول النار جلسوا يتسامرون .. وعاد لهم
(ماكبث) من وسط الأشجار بأرنب برئ .. فراحوا
يشوونه على النار ويصطلون ..
جلست (عبير) ترمقهم خلسة فى ضوضائهم ..
وجوه خشنة .. ووجوه ناعمة .. شباب وشيوخ ..
لكن أجملهم - والحق يقال - كان هو (روميو) ..
العاشق الإيطالى الرقيق .. الذى أحب (جولييت)
وتحدياً بحبيهما صراع الأسرتين المستحکم ..
ولكن .. أين (روميو) ؟ إنها لم تره منذ حلّ
الظلام .. و
وهنا سمعت الصرخة قادمة من قلب الغابة
المظلمة

★ ★ ★

٧ - الخطر ..

هبا الرجال جميعا كأنما سرت الكهرباء فى
أجسادهم ..

التمعت السيوف فى وهج النار ..

ومع السيوف التمعت عيونهم تحفزا ..

كان هناك سؤالان ينتظران إجابة فورية :

أولاً : من صرخ ؟ ثانياً : من أين جاء الصراخ ؟

قالت (عبير) وهى مازالت جالسة كما هى ، وقد
أسندت ظهرها إلى جذع الشجرة :

- « لا داعى للتساؤل .. إنه (روميو) .. لقد ظفروا

به ! »

تبادلوا النظرات ، وأدركوا للمرة الأولى أن الفتى

غير موجود معهم .. والتمعت عينا (عطيل) فى
وجهه الأسود .. وهتف :

- « الصبى الإيطالى الرقيق ! هذا حق .. لقد اختفى ..

ومنذ متى ؟ وكيف لم نشعر إلا الآن ؟ »

وتساعل (هاملت) وعيناه تدوران فى محجريهما بجنون :

- « من هم الذين ظفروا به ؟ »

قالت (عبير) بنفس اللهجة الفاترة الحزينة :

- « وكيف لى أن أعرف ؟ إنهم أعداؤنا وكفى ..

أعتقد أن مسرحية (روميو وجولييت) قد اختفت من

مملكة (شكسبير) بدورها .. »

قال (أنطونيو) وهو يدور حول النار :

- « هذا حق .. لقد كان الفتى يمشى فى نهاية

الموكب يترنم بالغناء وقد سكت صوته منذ فترة لكننا

لم نلاحظ .. »

أما (هاملت) فقال فى ضيق :

- « إنن .. فالخطر ليس أمامنا .. بل هو خلفنا .. »

- « إنها قاعدة حربية رومانية قديمة .. حين يطارذك

العدو اختف .. وانتظر حتى يمر .. ثم هاجم مؤخرة

جيشه .. »

- « يا لها من خسارة ! »

صاح (ماكبث) فى عصبية :

- « لم تصر خسارة بعد .. يمكننا دخول الغابة

والظفر بمهاجمه .. أو ربما أنقذناه هو .. »

قال (هاملت) واضعاً نؤابة سيفه فى اللهب :
- « ليست فكرة جيدة .. إن اتحدانا قوة .. وليس
من الحكمة أن نعطى مهاجمنا فرصة الظفر بنا
متفرقين .. »

- « أنت جبان كالعادة .. »

- « وأنت وقح كالعادة .. »

قال (عطيل) ووجهه يلمع كقناع من الأبنوس فى
وهج النار :

- « على كل حال لن يكون فقد الإيطالى الرقيق
خسارة فادحة لنا .. فأمثاله يفسدون فى الأرض ،
وكم كنت أغار على (ديدمونة) منهم ! »
حاتقاً صاح (بتروشيو) :

- « دعك وشأن الإيطاليين أيها الزنجى .. أتمنى
أن يأتى دورك سريعاً ! »

همست (عبير) فى أذن (بروسبرو) الذى افترش
الكلاء جوارها :

- « إنهم لا يطيقون بعضهم .. خاصة (هاملت)
و (ماكبث) ... »

هز الشيخ رأسه فى حكمة .. وهمس بدوره :

- « هذا طبيعي .. إنهما بطلا أشهر مسرحيتين
لـ (شكسبير) .. ولو لم يغر أحدهما من الآخر لبدأ لى
أثنى جاهل بطبائع البشر .. »
رأت (عبير) أن الوقت قد حان لإنهاء هذا
السخف .. فصاحت من مكاتها :
- « كفى ! لا مزيد من المهاترات .. لن يدخل أحد
الدغل للبحث عن (روميو) .. ومنذ الآن لن نتحرك
إلا جماعة .. »

- « لكن »

- « لا لكن .. لقد أغلق باب المناقشة .. »
وساد الصمت .. ثم عاد الرجال لجلستهم حول
النيران ..

أما هي فراحت تلهث .. شأنها شأن السليبين الذين
يعانون لإخراج شحنة من الإيجابية من أعماق صدورهم ..
وشعرت بوجهها يلتهب انفعالا .. لقد فعلتها ..
فعلتها ببراعة !

★ ★ ★

أراح الشيخ (بروسبرو) رأسها على صدره
العجوز ، وراح يرمق النجوم ..

وسمعت صوت أنفاسه التى تدخل وتخرج بمشقة ..
تذكرت من جديد أنها ليست (عبير) .. بل ابنته
الشابة (ميراندا) ..

وسمعه يغمغم :

- « أرجو ألا يطول هذا البحث .. »

مغمضة العينين سألته :

- « لم ؟ هل هناك ما يشغلك ؟ »

- « بالطبع .. لقد كان كل شيء ممهداً كي أجد لك

عريساً .. لكن القصة توقفت فى نروتها .. ولا أدرى

متى ستستمر .. »

- « هل يمكننى أن أعرف ما سيحدث بعدها ؟ ماذا

بعد العاصفة ؟ »

تنهد .. وقال بصوت جعل الناس يسرع إلى

عينها :

- « إن العاصفة هى كمين أعدته لأخى وابنه

(فردناتو) .. كان مركبهما سيفرق جوار الجزيرة ،

وتحملهما الأمواج إلينا .. كنت قد اخترت (فردناتو)

ليكون عريساً لك .. »

- « تزوج ابنتك لابن عدوك ؟ »

- « ولمَ لا ؟ إنه شاب طيب ولا ذنب له .. »

وتشاءب قبل أن يقول فى شرود :

- « ترى ماذا يفعل (إيريال) العزيز ؟ أتمنى ألا

يكف عن مراقبة (كاليان) .. فالوغد شرس الطباع

ويمكن أن يسبب كارثة .. »

- « هم م م م ! »

قالتها وهى تغيب فى عالم الأثير ..

★ ★ ★

استيقظت على برودة الفجر ..

وفى البدء حسبت أنها فى دارها ب (غمرة) تستعد

للخروج ، وفتح مكتب (الكمبيوتر) ، وشراء

شطيرتين من الفول من المحل على الناصية .. ثم

العودة لانتظار أول الزبائن .. روتين كل صباح ..

ثم فطننت إلى أنها تعيش الواقع الآن .. وواقعها هو

خيال لا أول له ولا آخر .. خيال غرسه (دى - جى - ٢)

فى عقلها .. خيال يحوى عالماً اسمه (فانتازيا) ..

و (فانتازيا) هذه تضم مملكة (شكسبير) ..

وها هى دى فى مملكة (شكسبير) تستعد مع

أبطاله لخوض حرب غريبة من نوعها ..

هو ذا (عطيل) يغسل وجهه فى مياه جدول قريب ..
(هاملت) يضع السرج على صهوة حصاته ..
أما الملك (لير) فهو ما زال راقداً على العشب ،
وهو يغط بصوت كفيل بإيقاظ الموتى ..
أمس كان (روميو) الوسيم بينهم .. لكنه اختفى
فى ظروف غامضة ..

ماذا كان دور (روميو) فى مسرحيته ؟ لم تعد
تذكر .. نسيت الحكمة برمتها .. هذا طبيعى .. لقد
تلاشت مسرحية (روميو وجولييت) من عالمها
تماماً .. ولو لم يتم عمل شئء ما فلسوف تتلاشى
المسرحيات الباقية كلها ..

دعهم إلى التحرك .. وببطء تعالت أصوات حوافر
الخياد ، وهى تتقدم نحو الشمال .. وجهتهم الغامضة ..



كان حصاتها يمشى جوار حصان (مارك أنطونيو) ..
تذكرت أنها لم تعرف بعد دورها مع (أنطونيو) ..
هل هى (كليوباترا) ؟ ولماذا لم يلتقيا بعد فى عمل
مشترك ؟

كان وسيماً .. يرتدى الدروع .. وقد نفش صدره

كبرياء و غروراً فوق صهوة جواد أشد منه غروراً
وجلالاً ..

قائد روماتى لا يعرف الهزيمة ، ولن يعرفها ..
سألته فى كياسة :

- « مرحباً يا لورد (أنطونيو) .. »

نظر لها نظرة عابرة ثم قال فى كياسة :

- « التحية يا (بورشيا) الجميلة .. »

إنن اسمها (بورشيا) هاهنا .. عادت تسأله محاولة
أن تعرف أكثر :

- « هل عطلتك هذه الحملة كثيراً ؟ »

- « بالطبع .. كنا قد حددنا اليوم لقتل (يوليوس

قيصر) .. »

وفهمت (عبير) الأمر .. إن هذه ليست مسرحية

(أنطونيو و كليبواترا) بل مسرحية (يوليوس قيصر) ..

إن (أنطونيو) اسم يتكرر فى المسرحيتين .. ولكن

لماذا لا يكون (قيصر) هو ممثل نفسه فى هذه

المسرحية ؟ إن المسرحية تحمل اسمه على كل حال ..

قال لها (أنطونيو) مفسراً :

- « المشكلة هى أن دورى هو الأهم والأكثر دسامة

فى المسرحية .. كما أن (قيصر) يقتل فى وقت
مبكر جدًا منها .. ويكون الصراع الأساسى بينى وبين
زوجك (بروتوس) .. »

- « فهمت .. »

وبدأت تتذكر خيوط المسرحية إذ يحكيها لها ..
إن المسرحية ترينا (يوليوس قيصر) - القائد
الرومانى العظيم - فى أسوأ حالاته .. فهو مزيج من
الغرور والتعجرف والجبن ..

أما الشخصية الإيجابية المملأ بالشجاعة والنبيل ،
فهى شخصية (بروتوس) ربيب (قيصر) .. ونعرف
أن (بروتوس) يتآمر مع آخرين لاغتيال (قيصر)
لأنه يوشك أن يودى بـ (روما) إلى الدمار .. ولأنه
طموح .. وطموحه مهلك سقيم ..

ويتلقى (قيصر) عددًا من الإنذارات المخيفة من
أحد العرافين .. خذ الحفر يوم ١٥ مارس .. لكن
(قيصر) يؤمن أن (السيف أصدق أنباء من الكتب) ،
ويأبى أن يعير أذنه للعراف .

لكن النذر تتوالى : عاصفة تمطر نيرانًا - أسد أمام
دار الحكومة - يوم ينشق فى السوق ظهرًا ..

وتتوسل زوجة (قيصر) لزوجها ألا يذهب إلى
الديوان في ذلك اليوم .. لكنه يصمم على الذهاب ..
فهو لا يريد الظهور كمن يهاب الخزعبلات ..
ويتوجه إلى الديوان حيث ينتظره المتآمرون - وفيهم
(بروتس) و (أنطونيو) - عازمين على تمزيق
جسده بخناجرهم ..

سألت (عبير) (أنطونيو) :

- « إذن اليوم هو يوم الذبح عندكم ؟ »
- « طبعاً .. لكننا اضطررنا إلى إرجاء الأمر .. »
- « وهل تنوى المشاركة في القتل ؟ »
- « لا .. لكنى سأنتظر حتى أجنى الثمار .. »
- « كيف ؟ »
- « هذا سرى الخاص .. ولسوف تعرفينه فيما بعد ..
مع تحرك الأحداث .. لكن دعينا نفرغ من هذه العملية
أولاً .. »

وضرب على عنق حصاته ليجذ السير أسرع ..



في هذه المرة وجدت نفسها جوار (بتروشيو) ..
ابتسم لها ابتسامة جانبية وهو يجذب لجام حصاته :
- « مرحباً يا (كاترين) .. »

هزّت رأسها له فى عصبية .. فقال :

- « ما زلت سينة الطباع كما أنت .. »

- « أنا ؟ »

- « طبعا .. لهذا تسميك (بادوا) كلها باسم

(كاترين النمرة) .. إن (بابتستا) أباك سعيد بما

أفعله لترويضك .. »

تذكرت هنا أن (بتروشيو) هو بطل مسرحية

(ترويض النمرة) .. وهى (كاترين) الفتاة المدللة

سليطة اللسان العصبية

لقد صمم (بتروشيو) على أن يظفر بهذه الفتاة

الشرسة زوجة له .. تقدّم لخطبتها واحتمل كل

شراستها ، حتى إذا ما تحدد موعد الزواج جاءها وسط

المدعويين مرتديا ثياب شحاذ .. وراح يلعب دوره

المجنون حتى أثار هلع الفتاة للمرة الأولى فى حياتها ..

ثم اصطحبها إلى داره الفقيرة ، حيث راح يعاملها

أسوأ معاملة .. ويمارس معها سياسة التجويع ..

كان بحاجة لأن يحطم كبريائها .. كبريائها السقيم ..

قالت له فى غلّ :

- « لقد جعلت منى حمقاء أمام الجميع .. »

- « أحقا يا ملاكى ؟ لا أظن هذا .. فأنت زوجتى

الحبيبة الرقيقة ذات اللسان المعسول .. »

وتنهذت (كاترين) / (عبير) .. على الأقل هذه
المسرحية هادئة لا قتلى فيها ولا مأس .. إنها كوميديا
خفيفة مثلها مثل (كما تحبها) و (حلم ليلة صيف) ..
المسرحيتين اللتين نسيت كل شيء عنهما الآن ..
ثم بدأت شراستها تهدأ قليلاً ..
كان السبب هو أنها بدأت تبتعد عن (بتروشيو)
بجوادها ، لتصير إلى جوار الملك (لير)



بدأت السماء تكفهر ..
ثم إن السنة البرق راحت تشق الظلام ، وانهمر
المطر مدراراً من ثقوب السقف الأسود العظيم
المسمى سماء ..
راحت الأرض تتحول إلى أوحال .. وتبدل المشهد
الجميل المشرق في ثوان ، ليغدو جزءاً من لوحة
كنيية عن مملكة الموتى ..
راح كل من الراكبين يضع أغطية على ظهر جواده ..
وفوق رأسه .. وشعرت (عبير) بأناملها تتجمد ..
هتفت (عبير) بصوتها الرفيع والمطر يبلل
حاجبيها ، ويسيل على عينيها :
- « هل من مأوى ؟ نريد مأوى .. »

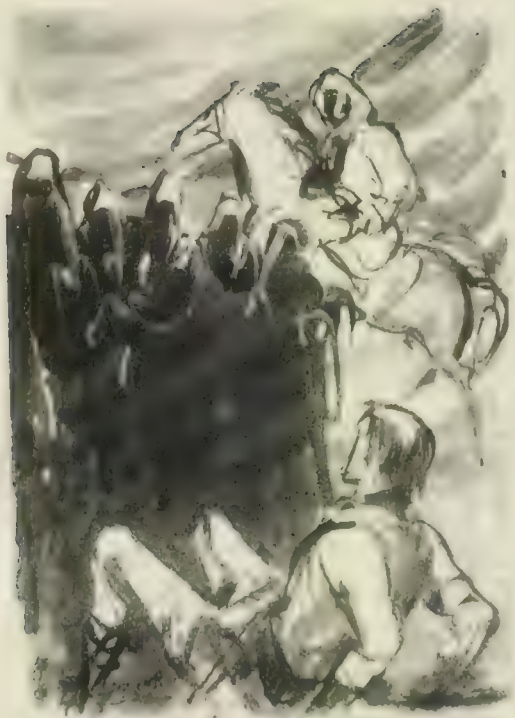
تبادلوا النظرات .. لا شىء حولهم سوى سهل
فسيح معتد .. ومن بعيد يبدو حزام من الجبال يلتمع
بالبرق من حين لآخر ..

- « إذن .. أسرعوا .. ربما وجدنا مغارة هناك .. »
وشرعوا يجذون السير .. لكن الأرض كانت زلقة ..
والخيول هانجة .. لهذا لم تدهش كثيراً حين سمعت
صهيل جواد .. ونظرت وراءها لتجد (هاملت) فى
الوحد ، وحصانه إلى جواره يحاول الارتكاز على
قائمتيه الأماميتين لينهض ..

- « توقفوا ! إن الأمير (هاملت) »
هنا رأت فى الظلام خيالات سوداء تشق طريقها
نحو الفتى الراقد فى الوحد .. فجذبت لجام حصانها
ليتوقف .. وصرخت :

- « (هاملت) ! احترس ! »
لم تكن كلاباً بريّة ولا ذئاباً .. كانت أطيافاً سوداء
فى حجم الإنسان .. ولها مشية تدل على أنه من غير
المستحب أن ترى وجوها ..
وسمعت صرخة (هاملت) وقد رأى ما يدنومنه ..
فصرخت بدورها ..





هنا رأيت في الظلام خيالات سوداء تشق طريقها نحو الفتى
الراقدة في الوحل ..

٨ - لا يوجد شيء آمن ..

بدا الأمر كالجحيم

فالسيل ينهمر بغزارة جاعلاً الرؤية مستحيلة ..
والبرق يضرب أى شيء وكل شيء .. والخيول هائجة
كالمحيط .. والرعد يصم الآذان .. والوحل يجعل الحركة
بطيئة كما فى الكوابيس .. فلا شيء يتم بسهولة ..
ولا يوجد شيء آمن ..

لكنها استطاعت - على ضوء البرق - أن تدرك أن
هذه الأشياء السوداء تحتشد حول (هاملت) .. وأن
أحدها يجره من ساقيه مبتعداً عن المكان ..
لكن (ماكبث) صرخ صرخة مرعبة ، ورأته
(عبير) - ومعه (عطيل) - يهرعان ملوحين
بسيفيهما ..

ورأت السيوف تطير هنا وهناك ، وسمعت صيحات
غير آدمية تنبعث من تلك المخلوقات السوداء وتطلق
(أنطونيو) بدوره ملوحاً بسيفه ليلحق بالمشهد ..

وأخيراً رأت (ماكبث) على ركبتيه يساعد أمير
(الداتمارك) الشاب على الجلوس ، ولم تعد ترى تلكم
الخيالات المبهمة ..

دنت بجوادها أكثر .. ونظرت من فوق صهوته إلى
(هاملت) ، الذى امتلأ وجهه بالقروح والكدمات ..
وفى بشرته شحوب الموت ..
أما شعره فقد امتلأ بالأوحال ..
سألته بصوت عال :

- « هل رأيت ما هاجمك ؟ »
قال لاهثاً وهو يحاول النهوض على قدميه :
- « لا أرى .. مسوخ ! كل المسوخ تتشابه فى
أنه لا يمكن وصفها .. »

ثم نظر إلى (ماكبث) وابتسم :
- « أنت شجاع حقاً يا زميل .. »
قال (ماكبث) فى ثقة ، وعيناه الزرقاوان تلتمعان :
- « إن (ماكبث) لا يمكن قتله إلا حين تتحرك
الأشجار فى الغابة ، وعلى يدى رجل لم تلده أمه ..
هل نسيت نبوءة العرافات ؟ معنى هذا - عملياً - أننى
خالد .. ولا يمكن أن تصف بالشجاعة إنساناً يعرف
أنه لن يموت .. »

تذكرت (عبير) هذا المقطع من مسرحية (ماكبث) ..
وتذكرت أن (ماكبث) - الأحق - قد تصرف بحرية
على أساس هذه النبوءة ..

لكن (شكسبير) لم يدعه ينعم بالخلود المنشود ..
أولاً : جعل أعداءه يزحفون إلى قلعته ، متولرين
وراء أشجار الغابة المقطوعة .. وهكذا تحركت الأشجار ..
ثانياً : جعل عدوه (مكدوف) إنساناً لم تلده أمه ..
بل شقوا بطنها ليخرجوه فيما يشبه الولادة القيصرية ..
وهكذا صار له الحق في أن يقتل (ماكبث) ..
إن (شكسبير) يعرف كيف يخدع أبطاله بالتلاعب
بالألفاظ ..

لكن (ماكبث) لا يعلم .. فدعنا لا نفسد عليه
حيوره ، وثقته بنفسه ..
وتعاون (عطيل) و (ماكبث) على إعادة (هاملت)
إلى سرج جواده ، والجو يزداد سوءاً بشكل غير
مسبق ..

صاح (عطيل) وهو يضع قدمه على الركاب :
- « كان حمقاً منهم أن يهاجمونا ونحن
مجتمعون .. »

قالت (عبير) بصراخ مماثل :
 - « هذا حق .. لكنهم أرادوا استغلال العاصفة .. »
 قال (ماكبث) بصراخ أعلى :
 - « إنها لعاصفة جديدة بالملك (لير) .. كان
 سيستمع بالكثير من الصراخ والعيول لو كان هنا .. »
 - « هذا صحيح .. »
 هنا هتفت (عبير) فى دهشة :
 - « ولماذا هو ليس هنا ؟ لقد كان بيننا .. »
 هنا تبادل الجميع النظرات .. لم يروا شيوفاً حولهم
 سوى (بروسبرو) العجوز على صهوة حصانه ،
 وهو يرمق كل هذا فى رعب .. تحت الأمطار ..
 - « لقد اختفى (لير) ! »
 - « يا للهول ! »
 وهنا صاح (هاملت) وقد أدرك الأمر برمته :
 - « كان هذا هو ترتيبهم .. جعلونا جميعاً ننشغل
 بالهجوم على .. وكان (لير) فى المقدمة .. لهذا
 حين تراجعنا صار هو فى المؤخرة .. وحيداً ..
 وبالتأكيد لم يكن الأمر عسيراً على الإطلاق .. »
 قال (أنطونيو) والسيل ينهمر من خوذته ، وكأنما
 صنبور صغير هناك :

.. « هذا يوضح الأمر .. إنها استراتيجية رومانية
قديمة لغزل المقدمة عن باقى الجيش .. لقد رأيت
مثلاً فى (بومبى) .. »
إن هذا الرجل لا يكف عن إبداء الحكمة بأثر
رجعى ..

كلما حدثت كارثة اتضح أنه كان يتوقعها من
البداية .. فلماذا لا يمنعها إذن ؟!
نظرت (عبير) إلى السهل الممتد أمامها يستحم
فى الغيث ، حتى كاد يموت غرقاً .. وخيل إليها أنه
يمد يده لها طالباً العون ..

قالت وهى تتأمل وجوههم تلتهم فى البرق :
- « لقد خسرنا (روميو) وخسرنا الملك (لير)
فى يومنا الأول .. ماذا ترون ؟ هل نستمر ؟ »
- « نكون أو لا نكون .. »

كانت هذه - بالطبع - من (هاملت) .. الذى
أردف :

- « إن الخطر قادم فى كل الأحوال .. فلنمت إذن
بإرادتنا وشروطنا لا بشروطه هو .. »
وداح يبحث بعينه فى الأحوال عن سيف ملقى ..

عن دماء .. عن حذاء مخلوع .. لا شيء .. لقد
تلاشى الشيخ كأنما لم يكن

وفى صمت واصلوا مسيرتهم تحت المطر

★ ★ ★

- « إبنى مندهش .. من أين يأتى كل هذا الماء ؟ »

قال (ماكبث) فى حيرة :

- « تصوروا أن هناك قومًا فى هذه الأرض يعانون

من الجفاف ؟! كيف والسماء بها كل هذه المحيطات ؟ »

- « كما أن هناك أناسًا يموتون من القيط .. تصوروا

هذا ! »

قالها (هاملت) وهو يرخى الغطاء على رأسه

أكثر ..

أما (عبير) فهتفت من بين أسناتها :

- « المشكلة أننى مبللة كالإسفنج .. حتى نخاع

عظامى صار مشبعًا بالرطوبة .. إبنى أتجمد ! »

ثم التفتت نحو (بروسبرو) قائلة فى غل :

- « وأنت يا والدى .. ألن تفعل شيئًا ؟ أم أن قدرتك

السحرية لا تتجاوز بدء العواصف ولا تتضمن

إنهاءها ؟ »

مرتجفاً قال (بروسبرو) :

- « للأسف هذا صحيح .. ليست كتب السحر معي ..
وإنهاء العواصف يحتاج إلى التلفظ بمقطع سرىانى
مكون من ثلاثين كلمة .. لا أذكرها .. »
هنا رأوا الضوء ..

ضوء مصباح يلتمع شاحباً خجلاً فى مكان ما وسط
السهل ..

وبشئء من الجهد أدركوا أنه يلتمع فى نافذة كوخ ..
هتفت (عبير) فى حماس :
- « كوخ ! مأوى ! »
ثم بصوت أمر :

- « اتجهوا إلى الكوووووخ ! »
قال (بتروشيرو) فى مرارة :

- « لو لم تأمرينا بذلك لفعلناه على كل حال .. »
وبعد ثوان كاتوا يقفون خارج الكوخ .. ترجل
(أنطونيرو) عن جواده وراح يشق طريقه وسط
الأوحال التى صارت عند ركبتيه .. وراح يقرع الباب
بمجمع قبضته .. وهو يتأمل الجذوع التى صنع منها
هذا الملجأ :

- « افتح باسم (السناتو) (*) ! »

لم يرد أحد .. فعاد يقرع بعنف أكثر :

- « نحن بحاجة إلى المأوى .. »

أضاف أحدهم :

- « والطعام ! »

- « بحق (زيوس) .. هلا فتحت الباب قبل

أن

اتفتح الباب ببضع .. ورأى (أنطونيو) عينين

مرهقتين تتأملانه على ضوء المصباح الواهن .. ثم

سمع صوت امرأة عجوز تقول :

- « تفضلوا يا أبنائي .. إن العاصفة شديدة .. »

ترجل الباقون وقد تفاعلوا خيراً ..

والخيول المسكينة ؟ لا مشكلة هنالك لأن المرأة

أخرجت لهم قطعاً من الشمع ليضعوها على ظهورها ..

شمع في عصر (شكسبير) ؟ خطر هذا لـ (عبير)

لحظة ثم تجاهلته لأن الجواب معروف لكل قرأنا ..

واتسل الغارقون جميعاً إلى كوخ العجوز ..

(*) مجلس الشيوخ ..

كَانَ ضَيْقًا .. حَتَّى شَعَرْتُ (عَبِير) أَنَّهَا فِي
أُوتُوبِيس (٣٠٥) ظَهَرًا .. الْكُلَّ يَدْفَعُ بَعْضُهُ .. وَكُوع
(مَآكِبْ) يَدْخُلُ فِي مَعْدَةٍ (هَامِلَتْ) .. وَرَكْبَةٌ
(عَطِيل) الْهَائِلَةُ تَكَادُ أَنْ تَمْزُقَ ظَهْرَهَا .. بَيْنَمَا هِيَ
تَحْطُمُ ظَهْرَ (مَآكِبْ) ..

لَكِنِ الْمَكَانَ كَانَ دَافِئًا وَهَذَا كَافٍ ..

تَوْجِدُ نَارَ .. وَيُوجَدُ قَدْرٌ مَعْلُوقٌ فَوْقَ النَّارِ .. يَغْلَى
مَا بِهِ مِنْ حَسَاءٍ شَهَى الرَّاحَةِ .. دَائِمًا يَكُونُ هَؤُلَاءِ
الْمُنْقَذُونَ قَدْ أَعْدَوْا كَمِيَّةَ هَائِلَةٍ مِنَ الْحَسَاءِ تَكْفِي
الْجَمِيعَ .. لِمَاذَا ؟ لَا أَحَدٌ يَدْرِي .. لَكِنِ الْقِصَصُ تَحْتَمُ
هَذَا .. وَلَوْ لَمْ يَكُونُوا قَدْ جَاءُوا لِالْتِهَمَتِ الْعَجُوزُ كُلُّهَا
بِالْقَدْرِ وَحْدَهَا ..

وَرَاحَتِ الْمَرْأَةِ تَوَزَعُ الْحَسَاءُ فِي آتِيَّةٍ مِنَ الْفَخَارِ ،
فَرَاخُوا يَرِشِفُونَ وَيَجْرَعُونَ وَيَلْتَهَمُونَ وَيَأْكُلُونَ
وَيَزْدَرِدُونَ وَيَلُوكُونَ ..

كَيْفَ لَوْ عَرَفَتِ الْمَرْأَةُ كَمْ دَوْقًا وَإِمْبَرًا طَوْرًا وَمَلَكًا
اجْتَمَعُوا فِي كُوخِهَا الْحَقِيرِ الْآنَ ؟

وَرَاحَتِ (عَبِير) وَقَدْ عَادَ الدَّمُ لِأَطْرَافِهَا تَتَأَمَّلُ
الْعَجُوزَ ..

كانت عجوزًا كأي عجوز أخرى .. لا أسنان ..
ظهر مقوس .. شعر أشيب يبرز من تحت غطاء
رأسها .. وشعيرات بيضاء في ذقنها ..
ذلك النوع من الشيخوخة الذي يجعل صاحبه أقرب
إلى ساحرة شمطاء .. ولا ينقص الأمر سوى بعض
أجنحة الوطاويط في الحساء ..
هل هذا ممكن ؟

ممكن

لكن البديل الوحيد هو الخروج للعاصفة .. وعدم
احتساء هذا الحساء الساخن شهى المذاق ..
وارتجفت (عبير) حين تذكرت ما كانت تمرّ به
منذ عشر دقائق .. لا .. هي لن تجرؤ على تكرار ذلك ..
فليكن ما يكون هنا .. في هذا الكوخ الدافئ ..
وما ذنب العجوز في كونها تبدو كساحرة شمطاء ؟
إنها كريمة النفس مضيافة .. ويكفيها أنها جازفت
باستضافة كتيبة هائلة من الغرباء ، الذين لا يبدو
عليهم أي نبل بعد كل ما مروا به .. ويكفيها أنها
تتحمل كل هؤلاء الذين يأكلون عشاءها .. ويفعمون
الجو بأنفاسهم الثقيلة .. ورائحة جواربهم بعد ما مرّ
يوم طويل لم يخلعوا فيه أحذيتهم ..

كان (عطيل) بحاجة إلى مزيد من الحساء لإطعام
جسده العماق ..
وراح يردد :

- « زيدنى .. زيدنى .. »

والحساء يبلل لحيته التى خطها الشيب ..
أما (بروسبرو) فقد بدأت عيناه تنعسان بالفعل
من فرط الدفاء والشبع .. وبدأ أنه يجد صعوبة فى
رفع رأسه عمودياً ..

هل يوجد سم أو مخر فى الحساء ؟
لا يمكن التكهن بهذا .. والغالب أنه لا يوجد .. وإلا
لمات (عطيل) قبل الجميع بعد ما انتهى من طبقه
الخامس :: وتجشأ فى رضا ..

راح (هاملت) يترنم بعبارات الشك الشهيرة ،
(ماكبث) يحلم بأن يغدو ملكاً ، و(بتروشيو) يتوعد
(عبير) بسوء المعاملة ..

أما العجوز فجلست فى ركن الكوخ القرفصاء ، وراحت
ترمقهم فى رضا .. وبعد قليل غلب النوم الجميع ..
كانت (عبير) هى آخر من أغض عينيه ..
ولكنها فتحتها بعد قليل لترى شيئاً رهيباً

★ ★ ★

٩ - مازق جديد ..

كان حافظاً خفياً - لعله حاسة النساء السادسة أو السابعة - قد جعلها تفتح عينيها المنهكتين بعد ثوان من الغفوة .. ثوان حملت أثناءها بالفعل .. ثم فتحت عينيها وقد أراحت رأسها على فخذ (بروسبرو) العجوز لترى ..

لترى فى ضوء الذهب ، ووسط الأجساد النائمة التى تبعث غطيظاً كمحركات طائرات رش المبيدات ؛ ترى العجوز تتحول إلى ذئب !

★ ★ ★

كانت المرأة فى ذات الوضع السابق ، جالسة القرفصاء جوار الجدار الخشبي ..

لكن أنفها راح يستطيل حتى غدا خطم ذئب .. وانتفش الشعر على جانبي رأسها .. واستطالت أنفها .. أما يداها فاكنتسيتا بالشعر .. وبعد ثوان تحولت إلى ذئب عملاق - يفوق حجم المرأة بكثير - جالس على قائمته الخلفيتين ، ويرمق النائمين فى جشع ..

ولعق شفثيه بلسان خشن .. فتساقط اللعاب من بينهما ..
وغير مصدقة ولا فاهمة ، رآته (عبير) يمد رأسه
للأمام .. ليطبق على قماش سروال (بتروشيو)
ويشرع فى جره نحوه ..

تململ الفتى النائم .. ولم يستيقظ ..

إبه مخنر ! - فهمت (عبير) الأمر بصعوبة وهى
ترمق المشهد بعينين نصف مغمضتين - وأنا كذلك
مخدرة وإلا لأطلقت صرخة عاتية .. الفارق الوحيد
بينى وبينه هو أننى التهمت نصف طبق الطعام الذى
قدمته المرأة لى .. بينما الرجال جميعا صالوا وجالوا
فى أطباقهم ..

رباه ! (عطيل) لن يفيق من غيبوبته أبدا !
ورأت (عبير) على ضوء اللهب المتراقص الذئب
العملاق يتشمم جسد الإيطالى النائم .. ثم يفتح فاه
ويطبق على ساعده وهو يصدر زمجرة مريعة ..
لا بد من عمل شئ ..

ها هو ذا الخطر الذى فروا منه ينتظرهم ها هنا ..
وكالعادة ينتظرهم فى المكان الوحيد الآمن الذى
حسبوه كذلك ..

إن هذا المسخ - الذى يجيد التنكر فى صورة آدمى -

لن يجد صعوبة الآن فى افتراسهم واحداً تلو الآخر ..
إنه واحد من أعداء (شكسبير) .. وجزء من الشيء
الذى يؤدى لتآكل المملكة يوماً بعد يوم ..
عليها أن تستجمع إرادتها ..

عليها أن تمدّ يدها إلى .. سيف (ماكبث) الملقى
على الأرض بجواره .. ما أعسر ذلك ! ها هو ذا ..
أطبقت أناملها عليه على صوت القضم والمضغ
المحطم للأعصاب ..

لو عاش (بتروشيو) فمن المؤكد أنه سيعيش كنع ..
عليها أن ترفع السيف .. لكن ما أثقله ! كل
ما استطاعت عمله هو أن زحزحت نصله قليلاً ليغوص
وسط النيران المشتعلة ..

فلنحاول ثانية !

ولكن .. صبراً .. إن نصل السيف ينتهب بالنيران ..
يتأجج .. يحمرّ لونه أكثر فأكثر .. لحسن الحظ أن
مقبضه عازل للحرارة ..

إذن كل ما عليها هو أن ترفعه هكذا .. وهوب !
تهوى به هكذا .. على ردفى الذنب الذى كان على
بعد قليل منها ..

وشمّت رائحة شعر يحترق ..

لكن ما شمته أكثر كان هو العواء .. نعم .. شممت
العواء ..

عواء له صوت الحريق ورائحة الحريق .. عواء
لم ولن تسمعه السهول بعد هذه المرة ..
وفى الثانية التالية رأت الذنب يزيع باب الكوخ
بخطمه ومخالبه .. ثم ينطلق إلى الليل المظلم بالخارج
لا يلوى على شيء وصرخاته تنقب سمعها ..
لقد فعلتها .. فعلت ها !!!

ونامت من جديد بضع دقائق ..
وحين فتحت عينيها ؛ أدركت أن رذاذ المطر يدخل
الكوخ ، والريح تسبقه ، وأن الباب ينفتح وينغلق فى
جنون ، وأن النار مهددة بأن تنطفئ ..
لهذا تحاملت على نفسها حتى زحفت إلى الباب ..
واستخدمت سيف (ماكبث) بعد ما غرسته فى
الأرض وراء الباب ، كمزلاج يمنع من الانفتاح ..
ثم تذكرت نراع (بتروشيو) ..
زحفت إلى مكانه ، وتأملته فى فضول ..
كان الذراع ممزقاً متهتكاً غارقاً فى بركة من الدماء ..
هذا متوقع ..

المشكلة هى أن (بتروشيو) نفسه لم يكن متصلاً



ثم تذكرت ذراع (بتروشيو) .. زحفت إلى مكانه ، وتأملت
في فضول ..

بفراعه .. بل لم يكن فى الكوخ أصلاً ! متى حدث هذا ؟
لا بد أن شيئاً ما دخل الكوخ فى الدقائق التى غفت
فيها ، وأخذ (بتروشيو) معه .. لأين ؟ لا أحد يعرف ..
للمكان الذى ذهب إليه كل المختفين السابقين :
(روميو) و (لير) ..

وأسندت رأسها للباب ، وواصلت نومها العميق ..



فى الصباح شعرت بيد عنيفة تهزها مراراً ..
- « استيقظى ! يا لكسك الشديد ! »
فتحت عينيها فوجدت (عطيل) يرمقها فى ضيق ..
وعيناه الصفراوان تلتمعان وسط وجهه الأبنوسى ..
وسمعت (هاملت) يقول وهو يتأعب :
- « أرجو ألا تخبرها بفقد (بتروشيو) .. فهذا
سيسبب توترها ! »

قال (ماكبث) :

- « بل هى تعلم .. فها هى ذى نائمة جوار الباب ،
ويبدو أنها استعملت سيفى فى تثبيت الباب .. ولكن
أين العجوز ؟ »

نهضت (عبير) وتمطت .. ثم سألت :

- « هل توقفت العاصفة ؟ »

- « نعم .. ماذا تعرفين عما حدث ؟ »

- « كل شيء .. »

وحكت لهم تفاصيل الليلة الرهيبة .. الذئب ..
والفراع .. إلخ ..

قال (أنطونيو) وهو يزرع الكوخ جينة وذهاباً :

- « اللعنة ! إن (شكسبير) سيخرب بيوتنا .. »

- « يجب أن نجدنا أحياء ليفعل ذلك .. من الواضح

أن أحدنا لن يعود من هذه الرحلة .. »

جلست (عبير) جوار (هاملت) .. وقالت :

- « ما يضايقتنى هو أنني لن أعرف أبداً ما كان

(بتروشيو) سيفعله فى باقى المسرحية .. لقد نسيت

قصتها تماماً .. »

قال (هاملت) بابتسامة مريرة :

- « جميل أنك مرهفة الحس إلى هذه الدرجة ..

على كل حال لم يكن الكثير سيحدث .. كان سيواصل

تحطيم كبريائك حتى تصيرى أكثر الزوجات طاعة فى

(بادوا) .. »

- « هكذا فقط ؟ إن قصتها لا تختلف عن فيلم

(آه من حواء) إذن .. »

- « ومن قال العكس ؟ »

سألته وهى تتأمل الرجال يدفنون نراع (بتروشيو)
فى أرضية الكوخ ، وهم يرددون بعض الصلوات :
- « وماذا عن الملك (لير) ؟ ما هى بقية القصة ؟ »
قال لها وهو يمسح وجهه :
- « إنها مأساة حقيقية .. ربما هى من أقسى مآسى
(شكسبير) حيث تنهزم البراءة والطهارة والصراحة
هزيمة مدوية .. ولحسن الحظ أن هذه المسرحية
الدامية قد تلاشت من عقلك .. »
- « لكنى أريد أن أعرف .. »
- « حسن .. متى توقفت القصة بالنسبة لك ؟ »
- « عندما ذهبت (كورديليا) لتطلب من زوجها - ملك
فرنسا - أن يخرج جيشاً لقتال أختيها اللعينتين .. »
قال (هاملت) غير ناس أن يلتهم قطعة من القديد
كطعام إفطار :
- « هم م م .. توجهت (كورديليا) مع جيشها
الفرنسى إلى (دوفر) .. وذهبت لترى أباه .. فكان
ما أثار حزنها ولوعتها أن الأب لم يتعرفها .. لقد
أودى الخبال والمعاملة القاسية بعقله ..
لشد ما كانت لحظات أليمة من البكاء والعويل
المتبادل !

لكن الشريرتين سمعتا بقدوم أختيهما .. واستعد
زوجاهما بجيش إنجليزى قوى ..

وتم الصدام بين الجيشين .. صدام ليس من صالح
الفرنسيين .. وسرعان ما تم أسر (كورديليا) الطيبة
وأبيها ..

وماتت (كورديليا) فى السجن .. قتلوها .. وراح
العجوز يبكى جوار جثتها .. يا لها من مأساة !
لكن الأفاعى ماتت بسموم العقارب .. فقد دب
الخلاف بين الأختين الشريرتين .. ودست (جونريل)
السم لأختها (ريجان) ..

ثم إن زوج (جونريل) عرف أنها تخونه مع إيرل
(جلوسستر) .. ورمى بها فى السجن حيث قتلت نفسها !
« يا للهول ! إن (شكسبير) قد عامل هذه الأسيرة
أسوأ معاملة .. »

« حقا .. لكن المأساة تنتهى نهاية سعيدة بأن
يحكم دوق (ألبانى) (بريطانيا) .. ويستعين بمستشاره
إيرل (كنت) .. ويعم العدل والسلام الربوع .. »
- « بعد هذه المذبحة ؟ »

- « نعم .. »

- « ليست قصة عبقرية جدًا .. »

ابتسم ، ومسح أنامله فى خرقة قماشية .. وقال :
- « ليس المهم بالنسبة لقصص (شكسبير) ماذا يحدث ؟ المهم هو كيف يحدث ؟ أكثرها قصص تقليدية مطروقة .. لكنه يثريها إثراء شديدا بحواره الفخم ، وحكمه العميقة ، وفهمه للنفس البشرية .. إن تلخيص أية قصة لـ (شكسبير) يعنى تدميرها تدميرا .. »

ثم قال وهو ينهض :

- « هلمى .. يجب أن تأمرينا بالتحرك .. »
هكذا أمرها بإصدار الأوامر ! ولم تجد شيئا آخر تفعله سوى أن تطالب الجالسين بالتحرك .. فقد حان الوقت ..
اتجه (عطيل) للباب الخشبى وحاول فتحه ..
استغرق لحظة أطول من اللازم .. ثم غمغم فى عدم فهم :

- « إنه موصد ! »

هرعت (عبير) غير فاهمة لتقف جواره تتحسس الباب :

- « كيف ؟ لقد كان مفتوحا والعاصفة تفتحمه ..
حتى اضطررت إلى أن أسده بسيف (ماكبث) .. »
- « لكنه موصد .. »

وقطب جبينه الأسود مفكراً :
 - « هناك من وضع شيئاً وراءه .. صخرة مثلاً .. »
 - « ولكن لماذا ؟ »
 - « لأنه يدبر لنا مصيبة بالتأكيد .. »
 وراح يدفع الباب بعضلاته القوية حتى نفرت
 أوريته ، دون جدوى ..
 القوط في أذنه يهتز باستمرار .. وعصبية تزداد ..
 قال (هاملت) مرتجفاً :
 - « سيحرقون الكوخ حتماً ! »
 قالت (عبر) وهي تنظر لأعلى :
 - « لا أظن .. إن خيالي أكثر خصوبة من هذا ..
 والنار أسلوب تقليدي ممل .. »
 - « إذن ما هو الأسلوب الذي تفكرين فيه ؟ »
 - « هذا الأسلوب مثلاً ؟ »
 قالتها وهي تشير إلى فتحة المدخنة ..
 فمن الفتحة انساب ما بدا لهم للحظة ككابوس
 أسود عملاق ..
 ثم أتركوا - وسط هلعهم - أن هذا جيش من
 الوطاويط ..



١٠ - إننا نقترب ..

- « واروح أبى ! إتهم بهاجمون ! »
- « وحق (زيوس) .. يا لشراستهم ! »
- « اضرب يا (هاملت) .. واللغة على من يصرخ أولاً : كفى ! »
- « مام ماميا ! »
- شرع كل منهم يصرخ ، ويستغيث على طريقته الخاصة .. وهو يطوح بذراعيه يمينا ويسارا محاولاً إبعاد هذه المخلوقات الشنيعة ..
- لم تكن وطاويط .. فهي تبصر جيداً .. والوطاويط ضريبة ..
- لم تكن وطاويط .. فحجمها أكبر وطباعها أشرس ..
- لم تكن وطاويط .. فسلوكها الجماعى مريب ..
- وتتحرك فى جماعة متراخمة كأنها جسم واحد أسود غليظ ..
- شرعت بعض الأذان ، وتغرس مخالبتها فى العيون ، وتلوك الشفاه ..

بينما الكل يصرخ هلعاً وألماً ..
والأسوأ أن (عطيل) - القوة الغاشمة - راح يطوح
بسيفه ونزاعه ذات اليمين وذات اليسار .. والويل
لمن يقف فى طريقه من زملائه البائسين ..
تمرّغت (عبير) على الأرض ، وغطت رأسها
بسااعديها ..

كيف يمكن الفرار من هذه المصيدة ؟
لم تدر متى انفتح باب الكوخ ، ولا متى خرج سرب
الرعب من فتحتة .. لكنه هذه المرة لم يخرج وحيداً ..
كان يحمل بين مخالبه جسد (عطيل)
(بروسبرو) .. برغم صراخهما ومحاولتهما الفرار ..
وكان كل مشغولاً بنفسه .. فلم يجروا أحد على
التصدى ..



وحين هدأت المعركة ..
وحين استلقى الأبطال على الأرض يلهثون ، ويبحث
كل منهم فى جسده عن بعض الأطراف السليمة التى
يمكن النهوض عليها ..
وحين أدركت (عبير) أن هذا الذى يسيل من

جبهتها ليس عصير طماطم ، بل دم .. دم حار مالح
المذاق ..

عندها أدركوا أنهم خسروا المعركة .. وربما الحرب ..
- « لا جدوى ! »

قَالهَا (هاملت) وهو ييصق دمًا .. وأردف :
- « إتينا نواجه عدوًّا أقوى منا بكثير .. عدوًّا له
قوة الطبيعة وشراسة الأعاصير ومضى الشهب ..
عدوًّا لا شكل له ولا مكان .. »
- « اخرس ! »

هذه كانت من (ماكبث) الذى تحامل على نصل
سيفه لينهض .. وقال :

- « كفى تبديدًا للمغنويات .. »
- « مغنويات ؟ سمعت عنها لكنى لا أعرف
ماهى .. »

نظرت (عبير) حولها فلم تر سوى (هاملت)
و (ماكبث) و (أنطونيو) .. لم تبق سوى ثلاث
مسرحيات لـ (شكسبير) فى هذه المملكة ..

هل هذا عدد كاف ؟ لقد فقدوا (عطيل) الثور
الآدمى الذى كان قادرًا على انتزاع جبل من مكانه ..

وفقدوا (بروسبرو) الذى كان يملك السحر ..
وهو سلاح ماض فى مملكة السحر هذه ..

فهل توجد فرصة للمقاومة حقاً ؟ هل يوجد أمل ؟
قالت من بين أسناتها الدامية :

- « من هؤلاء ؟ ماذا يريدون منا ؟ »

ثم عادت إلى طبيعتها الطفولية .. وغمغت :

- « لا أريد الاستمرار فى هذه القصة اللعينة ..
أريد قصة أخرى .. »

قال (ماكبث) فى سخرية :

- « لا حل أمامك سوى الاستمرار .. وحتى يأتى

(المرشد) ليصطحبك .. إلا إذا أردت البقاء هنا
للأبد .. »

نظرت حولها .. ووجدت أن كلامه ليس خالياً من
المنطق إلى هذا الحد .. فهزّت رأسها .. وتحاملت
على نفسها لتتهض شاعرة أنها كومة من البلى
بعثرها صبي ..

قالت وهى تلملم أشلاء ثوبها :

- « ناولنى عباءتك يا (هاملت) .. »

- « لم ؟ لأبد لـ (هاملت) من عباءة مبطنة يطوحها

يميناً ويساراً على المسرح ، بينما هو غارق فى
حيرته السرمدية .. »

صاحت فى عصبية :

- « فليكن عندك بعض الذوق ! ألا ترى حال

ثيابى ؟! »

بدا عليه الحرج من حماقته .. فخلع عباءته
ووضعها على كتفها .. مغمغماً بكلمات غير مفهومة ..
وضمت (عبير) العباءة على صدرها ، مبتسمة
لرؤية (هاملت) هكذا دون عباءته .. كأنه دجاجة تم
انتزاع ريشها ..

ثم إنها نظرت للباب المفتوح .. وهمست :

- « ماذا تنتظرون ؟ هيا بنا .. »

★ ★ ★

بالطبع لم تكن الخيول موجودة ..

فرت فى العاصفة ، لأنها خيول ذكية تعرف
ما ينبغى عمله ..

كان الوحل فى كل مكان .. لكن الأمطار توقفت ..
وبدأت الشمس تسطع على حياء ، محاولة فى جهد
أن تجعل الأرض أرضاً من جديد ..

وتمضى المسيرة البائسة ..

كان (هاملت) قريباً من نفسها إلى حد ما ..

صحيح أنه غامض .. معقد .. كثير الشرود ..

لكنه كان لطيف المعشر إلى حد ما .. لا يخلو من

الدعابة .. و (جنلماتاً) حقيقياً ..

إن (ماكبث) عصبى مغرور .. ثم إنه قاتل .. لن

تنسى هذا ..

و (أنطونيو) شبيه بطاووس آدمى غير ودود

على الإطلاق ..

لهذا مشت جوار أمير (الدانمارك) المتردد ..

وسألته :

- « هل لى أن أعرف كيف كان (عطيل) سينهى

مسرحيته ؟ »

- « كان سيفتك طبعاً .. »

- « وأنا بريئة ؟ »

- « هذا يحدث كل يوم .. إن مسرحية (عطيل)

تحكى عن الشك وخيانة الصديق الحسود .. لقد أحبك

(ياجو) وحسد (عطيل) على امتلاكه إياك .. لهذا

دق هذا (الإسفين) بينكما .. »

صمتت بعض الوقت مفكرة .. ثم سألته :

- « وماذا عن مسرحية (بروسبرو) ؟ »

- « تعنين (العاصفة) ؟ إنها مسرحية باسمة حقاً ..

كان (بروسبرو) البائس يسعى إلى العثور على عريس لك .. ووقع اختياره على ابن أخيه .. لهذا أثار تلك العاصفة التي تسببت فى غرق مركب أخيه جوار الجزيرة .. وبهذا يرتب لك أن تلتقى بالشاب ويقع كل منكما فى غرام الآخر ..

ثم يصل الأخ الخائن (أنطونيو) إلى الجزيرة ، مبتلاً منها ..

ويتعرف أخاه .. فيجزع .. لكن (بروسبرو) بطيب خاطره ، ويسامحه على خطاياه .. وتعم السعادة الجميع .. »

- « هذا غريب ! لا قتلى ولا صرعى ؟ »

- « كان (شكسبير) متعكر المزاج حين كتبها على ما يبدو .. »

ثم تصلب وهو ينظر إلى الأفق .. وهتف :

- « لحظة .. هل ترين هذا ؟ »

وتوقف الحشد ورفعوا عيونهم إلى أعلى حيث أشار (هاملت) ..

- « هذا هو »

- « بالتأكيد .. »

فهناك - على بعد كيلو متر أو اثنين - رأوا القصر ..
القصر الشامخ الذى يشق عنان السماء ، خنجر بتار
يمزق السحب وثمة برج عال يبدو كأنه يجتذب السنة
البرق إليه .. وغابة تحيط بقاعدته ..

همست (عبير) وهى تبلل بلسانها شفيتها :

- « هل هذا القصر من عوالم (شكسبير) ؟ هل
رآه أحدكم من قبل ؟ »

- « لا »

قالت (ماكبث) وهو يتحسس مقبض سيفه ..

- « بالتأكيد لا .. »

★ ★ ★

- « أعوذ بالله ! »

قالت (عبير) ولرذفت :

- « يبدو كقلعة (فراكنشتاين) .. أو كقلاع الساحرات

فى القصص .. »

قال (أنطونيو) وهو يشمخ برأسه :

- « لا أعرف هذا الدكتور (فراكتايوس) .. لكنى

أفهم ما تعنين .. »

ثم أردف .. وقد عاد إلى طبيعة المحارب :
- « إن هذه المرتفعات تعزلنا عن القصر .. يجب
أن نحاول اجتيازها قبل أن يجن الليل .. سنمزق
الأوغاد سريعا ثم نعود لمواصلة أعمالنا .. إن
(ماكبث) متلف على قتل (باتكو) .. و (هاملت)
يريد إثبات الجرم على عمه .. وأنا فى أمس حاجة
للتواجد لحظة اغتيال (قيصر) .. »

تنهّد (هاملت) فى يأس :
- « أعتقد أننا لن نعيش لنرى هذه الأحداث ..
لكننا على الأقل نحاول .. نحاول .. »
(ماكبث) قال فى ثقة وهو يشير إلى صدره بإبهامه :
- « أنا لن أموت .. هذا مفروغ منه .. »
- « وحتى تتحرك أشجار الغابة .. سنمنا هذه
النبوءة .. »

قالت (عبير) وهى تشير إلى قاعدة القصر :
- « بمناسبة هذه الأشجار .. هناك .. هل ترونها ؟ »
ضيق (ماكبث) عينيه ، وسألها بنفس الثقة :
- « ماذا بها ؟ »
- « إنها تتحرك ! »



بدعوا فى تسلق الصخور الوعرة التى تشكل حزاماً
حول القصر ..

كان مجهوداً مضنياً ممزقاً للأكف والأقدام ..
فالصخور لم تكن ترتفع إلى أعلى باستمرار .. ولم
تكن تهبط لأسفل بانتظام .. بل هى أقرب إلى حفنة
من الخناجر مغروسة فى الأرض ونصالها لأعلى ..
كان (ماكبث) فى حالة نفسية غاية فى السوء ،
يولول كالتكالى وقد أدرك أن نهايته داتية حتماً ..
وقالت له (عبير) مواسية :

- « لا تقلق .. إن خداع النظر يحدث للجميع .. »
- « لم يكن خداع نظر .. كلنا رأيناه .. كانت
رسالة موجهة لى بوضوح تام .. نوعاً من التلويح
بالسبابة للتوعد .. »
واستطرد قائلاً :

- « إبنى ميت .. فلتغفر لى السماء خطاياى .. لقد
كنت أنت السبب فى كل هذا .. لقد جعلت فكرة الملك
ظموحاً دائماً مسيطراً على كل جوارحى .. وكنت على
استعداد لعمل كل شئ .. لقد أحببتك حقاً ولم أكن
أبغى أن ترينى فى ثوب الفاشل الضعيف .. »
- « كل هذا من أجل أشجار تتحرك ؟ »

- « بل من أجل نبوءة تتحقق .. »

أخيراً فرغوا من اجتياز حزام الصخور ..

لكنهم لم يفرغوا من الوصول إلى القصر ..

كان هناك حزام رهيب من المستنقعات يمتد إلى حيث لا ترى العيون ، وشعرت (عبير) بغصة في حلقها وهي تتأمل هذا المشهد ..

- « هذا ما كان ينقصنا .. » - قال (هاملت) في

قسط - « هذه المستنقعات اللينة صالحة تماماً

لابتلاع اثنين أو ثلاثة منا .. »

- « أرى أن نعود - (شكسبير) .. »

قالها (ماكبث) في وجوم ، وهو ينظر للأرض ..

- « إن العودة ستكون أخطر من التقدم .. »

في تصميم قال (أنطونيو) :

- « لا عودة .. سندور حول هذه المستنقعات ..

ولا بد من شريط من الأرض الثابتة يمكننا اجتيازه .. »

وراحوا يدورون حول الموضع الرهيب ..

كان هذا خطراً .. فالأرض زلقة تماماً .. والظلام

قد بدأ يحل ..

ومن بعيد سمعوا عواء ذئاب ..

★ ★ ★

كان الليل قد كسب المعركة ، حين وقفوا على حافة
الهاوية يرمقون القصر الواقف مسربلاً فى الظلام ..
وقد بدأت بعض الأنوار المبهمة تلتمع من خلال نوافذه ..
ثمة من يعيش هناك .. أم الأصح لغوياً أن نقول
(ثمة ما يعيش هناك) ؟ لا يهم ..

بدا القصر كوحش غاف ينتظر من يوقظه ..
الظلام دامس .. لكنهم يرون الهاوية تحت أقدامهم ..
هاوية لا آخر لها ولا قرار .. كأنها فم الوحش الغافى
ذاته ..

لا شعورياً مدت (عبير) يديها تمسك بمعصمى كل
من (هاملت) و (أنطونيو) .. وتقلصت أناملها هناك ..
إن (ماكبث) ولكن أين (ماكبث) ؟
إنها لم تره منذ بدعوا الدوران حول المستنقعات ..
التمع السؤال فى عينيها ، وفهمه (هاملت) فقال
بتؤدة :

- « لا تنظري للوراء .. لقد فقدنا (ماكبث) فى
المستنقعات منذ ساعة .. لم يكن ممكناً عمل شيء .. »
- « بهذه البساطة ؟ »

- « كان سيفعل نفس الشيء لو كنت مكانه .. ثم
إنه قد تهيأ للموت كما لم يتهيأ أحد .. لقد رأى



كان الليل قد كسب المعركة ، حين وقفوا على حافة الهاوية
يرمقون القصر الواقف مسربلاً في الظلام ..

الأشجار تتحرك فكأنه رأى ملاك الموت .. «
قال (أنطونيو) وهو ينظر إلى قدميه :
- « كيف نعبر هذه الهاوية ؟ »

وكأنه كابوس ؛ أشار (هاملت) إلى الجواب ..
كان هناك جذع شجرة موضوعاً على حافتي
الهاوية ، كأنه جسر .. جسر طويل جداً .. من أين
جاءوا بشجرة بهذا الطول ؟ شجرة طولها لا يقل عن
عشرين متراً ..

هتفت بلهجة تقريرية نهائية :

- « هذا لن يكون .. لن أعبر هذه ! »

- « ولكن يا (أوفيليا) .. »

- « لن يكون .. إن الدوار يصيبني على سطح

دارنا .. فما بالك بـ ؟... »

- « يمكنك أن تغمضي عينيك ! »

- « قلت لا ! أعبر هذه الهاوية مغمضة العينين ؟ »

لكن الجواب كان سريعاً جداً ، وكان مقتعاً ..

إذ رأوا جمرات متقدة تبرز من الظلام خلفهم لتحيط

بهم .. جمرات حمراء موزعة على شكل أبراج

مقاربة .. وسمعوا ذلك الصوت المميز ..

ووووووووو !

- « ذئاب ! »

- « لقد تقرر الأمر .. »

- « إن التراجع مستحيل .. »

- « معنى هذا أن صاحب الذئاب يريد منا أن ندخل

القصر .. »

- « ولكن .. الظلام

ووووووووو !

كان هذا أكثر إقناعاً ..

وعلى الفور وضعت (عبير) قدمها على جذع

الشجرة .. لم يكن الأمر سيئاً إلى هذا الحد ..

وسرعان ما وضعت القدم الأخرى ..

وبحذر بدأت المشى فوقه ، محاذرة من السقوط فى

الهاوية .. متهيبة من النظر لها .. حبست أنفاسها

وراحت تتقدم ..

وراءها سمعت خطوات (هاملت) .. ثم خطوات

(أنطونيو) الثقيلة ..

رفعت نراعيها بمحاذاة جسدها ، وواصلت السير ..

- « إن الذئاب تتقدم ! »

قالتها (هاملت) وهو ينظر إلى الوراء ..

إذ رأى جمرتين حمراوين تتقدمان فوق جذع الشجرة

باتجاه (أنطونيو) .. لكن الذنب حافظ على المسافة ..
ولم يحاول أن يدنو أكثر ..

وتواصل (عبير) تقدمها الحذر ..
لقد اجتازت ثلث المسافة الآن ، وهي ذى ترى
القصر المخيف كأوضح ما يمكن .. لقد صارت فى
أحضانها حقاً ..

تواصل المزيد من التحرك ..
صوت صرخة .. صرخة عالية مذعورة ، تتلاشى
تدريجياً لتذوب فى الأبدية .. وتمتزج بالصدى ..
- « ما هذا ؟ »

قال (هاملت) :
- « لا تنظري للوراء .. إنه (أنطونيو) ! لقد هاجمه
الذنب ووثب إلى الهاوية معه !! »
يا للكابوس المريع ! المشكلة أنها لا تستطيع أن
تتحرك بشكل أسرع .. وهي تعرف أن ذنبها آخر يخطو
فوق الجسر الآن ..

- « (هاملت) .. إنه سيهاجمك ! »
- « ليس بعد .. استمرى فى الحركة .. استمرى ... »
واصلت التقدم ، وقلبها يخفق كالطبل ..
سمعت صوت زئير .. فنظرت للوراء ..

وكان ما رآته متوقعًا .. الأمير (هاملت) يحاول
التماسك ، بينما ذنب يقف على قدميه الخلفيتين منشبا
أنيابه في صدره ..

كان الذنب عملاقا يفوقه في الطول ..

أحست بالهلع .. وبعجز مريع ..

إن الجسر لا يتسع للعودة للوراء .. ولا يتسع
سوى لواحد فقط .. أى أنها لا تستطيع التراجع ..
يمكنها أن تقفز لأسفل .. ولكن لأية غاية ؟

هو ذا (هاملت) يطلق صرخاته الحرة ..

يحاول التشبث بمكانه ..

لكن الذنب كان شرسا .. وكان انتحاريا .. كأنه
ياباتى من (الكاميكاز) الذين كانوا يركبون على
الطوربيد ، ويفتحمون به السفن الأمريكية في الحرب
العالمية ..

وسرعان ما هوى الاثنان إلى أسفل ليلتلعهما
الظلام ..

وخطر لـ (عبير) لحظتها خاطر واحد سخيـف ..
إن (هاملت) لم يصرخ عندما هوى لأسفل ..

★ ★ ★

١١ - الواقع .. ومن معه ..

نظرت للوراء فلم تجد المزيد من الجمرات المتقدة ..
إن الذئاب لن تتولى أمرها بدورها ..
كان عليها أن تقطع الربع الباقي من جذع الشجرة ،
فى الظلام وبساقين صنعنا من (السباجيتى) ..
لكنها فعلتها .. دامعة العينين .. مفككة الأوصال ..
أخيراً استقرت قدماها على الناحية الأخرى للهاوية ،
وللمرة الأولى تقف تحت جدران القصر ترنو لأعلى ..
إبه أضخم وأرهب مما تصورت ..
سارت بمحاذاة الجدار .. الجدار المصنوع من قطع
هائلة من الحجارة ، كما تقضى تقاليد القرون
الوسطى العتيدة ..
كانت هناك بوابة معلق عليها مشعل ..
وجوار البوابة كان ينتظرها حارس من نوع فريد ..
لم يكن آدمياً بالتأكيد .. فله ذيل .. وله شعر
منتفش على جانبي الرأس .. وله عينان متقدتان ..
وله زئير مرعب .. ويمشى على أربع ..

يمكن القول - دون خطأ كبير - إن هذا ذنب ..
تراجعت إلى الوراء خطوة ..
لكن ثبات الوحش ونظرته الثابتة لها جعلها تعرف
أنه ينتظرها .. ويريد أن يقودها إلى الداخل ..
دنت منه بحذر .. بحذر ..
فرأته يبعد عنها مشعليه الأحمرين ، ويتجه بخطمه
إلى الداخل حيث تتبعث رائحة العطن والعفن ..
ثم سبقها ببضع خطوات ..
بصعوبة نقلت قدميها لتلحق به ..
لن يكون بالداخل ما هو أسوأ على كل حال ..



هذا العمر الطويل المقبض ..
العمر الذي تراه في كل أفلام الرعب ، حتى حسبت
أنها لقطة واحدة يستسخنها الجميع ..
مشاعل على الجانبين .. ومضيفها ذو الفراء
يتقدمها في تودة وثقة .. وهي تتبعه في بلاهة
وتوجس ..
تثق في ذنب ! غريب هذا حقاً .. إن المرأة قد
تعجب بذنب وقد تميل إليه .. لكنها لا تمنحه ثقها أبداً ..

أما هنا فـ (عبير) لا تملك ترف الاختيار ..
وبصوت حلقى ممرور غمغمت :
- « أيها (المرشد) ! تعال وخلصنى من هذه
القصة .. لا أريد الاستمرار .. عليك اللعنة .. »
لكن قواعد اللعنة معروفة ..
إنها لا تنتهى إلا حين تنتهى .. وليس مسموحاً لها
بالتعمل قبل ذلك ..
وجدت درجات سلم حجرية .. ووجدت الذئب قد
وقف متصبلاً .. كأنه يقول لها : اغفرى لى .. لا أملك
سلطة الاستمرار بعد هذا ..
- « حسن .. أنت ذئب لطيف .. »
توهجت عيناه الشرستان ، ولم يرد ..
راحت ترقى الدرجات وهى تلهث انفعالاً ورعباً ..
وكان هناك مدخل كبير .. يقود إلى قاعة كبيرة
بدورها ..



كان هناك حشد من الناس يرمقونها فى فضول ..
كلهم جالس إلى مائدة عملاقة فى وسط المكان ..
وكانت هناك مشاعل فى كل مكان .. ورماح يمسك

بها حراس أشداء مفتولو العضلات كسيافى ألف ليلة
وليلة ..

أتركت أن عليها أن تمشى إلى وسط المكان ..
كان هناك مقعد .. فجذبتَه - كأنما فى حلم -
وجلست عليه ..

سمعت صوت ضحكة مجلجلة تدوى فى المكان ..
ثم رأت رجلاً ضخماً الجثة - هو صاحب الضحكة -
يجلس فى صدر القاعة ، كأنه ملك يطلّ على بلاطه ..
- « هاهاهاه ! أنت تتصرفين كأنك تعرفين ما أنت
بصدده يا أنسة ! »

لم تردّ .. كانت جائعة .. وكانت مرهقة .. وفى
يقينها كانت تعلم أن لقمتين من الطعام وضجة طويلة
هى كل ما يهمها فى الحياة الآن .. وبعدها ليكن
ما يكون ..

هل سيقتلونها ؟ لقد مات من هم خير منها ..
هل سيعذبونها ؟ من الصعب أن يوجد عذاب يفوق
عذابها ؛ فوق جذع الشجرة تشعر بأنفاس الذئاب من
ورائها ..

وكأنما كانوا يفهمون ، وجدت أمامها دجاجة محمرة ،

ورغيفاً من الخبز ، وتفاحة .. ومدية لتأكل بها ..
فهم لا يعرفون الشوك ولا الملاعق ..
راحت تأكل غير مبالية بهذا الحشد الذى يرمقها ،
ولم ترفع عينها نحو صاحب الضحكة الخبيثة ثانية ..
وحين انتهت رأت عبداً يحمل دورقاً به بعض الماء ..
فغسلت يديها .. ثم رفعت عينها الحماوين إلى
صاحب الصوت ..

كان ضخماً مهيباً .. له عينان لامعتان .. وكان
الشعر فى وجهه أكثر من اللآلئ مما ذكرها بوجوه
المذءومين ..

وحين رفع يده أدركت أن أظفاره أطول من اللآلئ ..
أقرب إلى المخالب .. وأن جلد يديه أسود .. أسود
كيوم بلا أمل ..

وإلى جواره رأت شاباً .. شاباً يرتدى ثياباً
مزرکشة الألوان ، منفرة الذوق .. كان يلوك قطعة
من اللادن ، ووجهه غير حليق ، وله كرش لا بأس
بحجمه يتدلى فى استرخاء أمامه ..

وفى قدميه الغليظتين رأت شبشباً مبتذل المنظر
تطل منه أظفار مشوهة .. الحق أنه كان أكثر من
رأت فى حياتها إثارة للاشمئزاز ..

على جانب الجالس الآخر كانت هناك فتاة .. فتاة
ملطخة بالأصباغ ترتدى ثوباً ضيقاً .. وقد وضعت
سماعتي جهاز (ووكمان) على أذنيها ، وراحت
تهتز مع الإيقاع ..

رفعت رأسها لأعلى فرأت - لدهشتها - شاشة
تلفزيون كبيرة ، تعرض مشاهد متتابعة من مواقف
عاطفية .. وكانت الشاشة معلقة فوق الرءوس بحيث
لا يفلت منها أحد ..

أين هي ؟

ما هذا المكان ؟ ومن هؤلاء القوم ؟

قال الجالس على العرش بصوت مجلجل واثق من

نفسه :

- « اسمحوا لي أن أقدم لكم ملهمة هذا العالم ..

ومالكة هذه الأرض .. الأنسة (عبير) صاحبة

الخيال الخصب الذي لا يكف عن التوالد .. كأرنبة

برية يستحيل منعها من أى شيء .. »

هتفت (عبير) فى هستيريا :

- « ومن أنت ؟ من أنتم ؟ »

قال بذات اللهجة الواقعية :

- « لنكن واقعيين .. أنت في قبضتنا وليس من
حقك إلقاء الأسئلة .. »

في رقاعة قالت الفتاة ، وهي تتمايل على النغم :
- « إنها بلهاء .. تحسب أن الأسئلة لا بد أن تحظى
بإجابات .. »

وقال الفتى ماضغ اللادن :
- « وهي قبيحة كذلك .. و (مخها لاسع) .. »
عادت (عبير) تكرر في حلق هذه المرة :
- « يبدو أن بالكم رائق ها هنا .. »
قال الفتى في رضا :
- « إنها مسألة (دماغ) كما ترين .. »
وتوقف ليرمق الشاشة المعلقة فوق الرءوس ، في
اهتمام شديد ..

- « إنها ستعود لزوجها .. لقد تخلى عشيقها
عنها .. »

قالت الفتاة وهي تتابع أحداث المسلسل المعروف
على الشاشة ، والذي يظهر بطله ما يتحدث إلى بطل
ما .. في مشهد ما ..

- « لكنها ستتركه بدورها وتهرب مع رجل آخر .. »

أما هو فسوف يحب زوجة هذا الآخر .. إن (ريدج)
يعرف ما يفعله حقاً .. ولد (مخلص) حقيقى ..
قالها الفتى بدوره دون أن يكف عن متابعة الشاشة
بعينه ..

هنا اتبرى الرجل الجالس على العرش يقول
(عير) :

- « على كل حال .. أعتقد أننا مدينون لك
بتفسير ما .. قبل أن نزيلك من الوجود .. هذه هي
الحقيقة المريرة .. أنت فى الواقع لاشىء يا (عير) ..
مجرد فتاة قبيحة فقيرة تهوى أحلام اليقظة .. وقد
بنيت عالماً كاملاً من هذه الأحلام .. واعتدت أن
تجعلى منه مهرباً سحرياً من واقعك المرير .. لكننا
ها هنا كى نضع النقاط على الحروف .. »

وأشار بمخالبه إلى صدره .. وقال :
- « لنقل إننى أنا الواقع ذاته .. بقسوته ..
بشراسته .. بمخالبه .. ليس هذا كلاماً فلسفياً أو
رمزياً بل هى الحقيقة كلها .. ولا شىء سواها ..

إن سلطانى يتضخم كل يوم هاهنا .. أنا الذى التهمت
هذه المملكة كلها .. التهمت (هاملت) و (روميو)

و (ليام) و (ماكبث) و ... و ... كلهم لا مكان لهم
فى عالمى .. إنهم خيالات صنعها حالم مثلك اسمعه
(وليم شكسبير) .. وأنا لا أطيق الأحلام ولا أحتمل
الخيال .. »

والتمعت عيناه أكثر فأكثر .. وهتف :

- « لقد التهمت مملكة (شكسبير) بأسرها .. وغداً
أرحف إلى قطاع آخر فى (فانتازيا) .. وبعد أيام لن
تكون هناك (فانتازيا) .. لن يكون هناك سوى واقع
مرير قاس .. وسيتعلم الناس كيف يعيشون بلا
أحلام .. »

لم تستطع (عبير) الكلام من فرط هلعها ..
فواصل هو ثرثرته :

- « إن الحيوانات لا تحلم .. إنها سعيدة بلحظتها
الحاضرة راضية بها .. فلماذا يحاول الإنسان أن
يتحلق ؟ »

هنا وجدت (عبير) أحرفاً تقولها .. فسألتها
مرتجفة :

- « و .. ومن هؤلاء ؟ »

- « إنهم جندى المخلصون .. »

وأشار إلى الفتى ماضع اللادن .. قاللا :
- « إن (شكسبير) العظيم لم يبتعد كثيراً عن
الحقيقة .. فهذا هو (الابتذال) أخلص حلفائي .. إنه
مقرز فخور بما هو عليه .. أما هذه .. »
وأشار إلى الفتاة :

- « فهي (السطحية) إذا أردت أن تسميها كذا ..
عقل أجوف .. تبرج صارخ .. فهم مسطح لكل أمور
الحياة .. »

ثم أشار إلى الجلوس حول المنضدة :
- « هذا هو (القبح) .. »
كشر (القبح) عن أسنان صفراء نخرة ، وهرش
رأسه المليء بالدمامل في تلذذ .. وعاد يتابع
التلفزيون ..

- « وهذا هو (الحمق) .. و (العدمية) و و »
ثم أشار إلى الشاشة فوق رأسه ، وأردف :
- « وبالطبع لا ننسى التلفزيون وكل الوسائل
المرئية .. إنها تجعل الناس في غيبوبة دائمة ،
عاجزين عن الحلم .. أكثر كسلاً من أن يقرءوا أو
يفكروا .. وبهذا يكتمل انتصاري .. »

وغيرك كفيه فى سرور :

- « إننى أرى اليوم الذى يفترس فيه الواقع الناس
طيلة اليوم ، يفترسهم فى زحام المواصلات .. فى
العمل .. فى لقمة العيش .. ثم يعودون إلى ديارهم
الضيقة ليشاهدوا التلفزيون فى بلاهة فاغرى الفم ..
ثم ينامون .. وينجبون أطفالاً أكثر منهم تعاسة ..
يحمل كل طفل منهم حمق وحول عينى أبويه .. »

من بين أسنانها قالت :

- « لقد كنت متوحشاً فى تخلصك من أبطال
(شكسبير) .. »

- « لا بد من التوحش مع السرطان يا عزيزتى ..
إننا نقطعه بالمبضع ونحرقه بالإشعاع .. فلو تركناه
لأفلت الأمر من أيدينا .. »

هتف الفتى ماضغ اللادن فى نظرف :

- « إذيله ماتريحوش ! »

سألت (عبير) وهى تحكم وضع عباءة (هاملت)
على كتفها :

- « حسن .. أنا الآن فى قبضتكم .. فماذا تريدون

منى ؟ »

اتفجروا يضحكون .. مما أثار حنقها .. فصاحت :

- « تريدون منى أن أكف عن القراءة ؟ »

- « بالعكس .. نريد منك أن تكفى عن الحياة ! »

وفى اللحظة التالية مذ الفتى المبتذل يده إلى جيبه ..
وأخرج مطواة زنبركية فتحها .. وشهرها فى وجهها ..
إن المطواة تلام طابعه على كل حال ..

قالت وهى تتراجع إلى الوراء :

- « لن تستطيعوا إيذاى .. »

- « أعطينا سبباً وجيهاً واحداً يا (عسل) .. »

- « لأنكم .. لأنكم جزء من الحلم .. أنا المسئولة

عن صنعكم .. والحلم لا يقتل الحالم به .. »

قال الواقع من على عرشه فى صوت رصين :

- « أنت نفسك حلم .. هل نسيت ؟ إن موتك سيجعل

(فانتازيا) بلا وجود .. »

- « سيحلم كثيرون غيرى .. حتى لو مت أنا .. »

- « ربما .. لكن جنودى يعرفون ما ينبغى عمله ..

إن الواقع يزداد مرارة .. والحلم يزداد عسراً ..

وسياتى يوم يكون فيه الخيال بضريبة باهظة .. »

ومن أبواب القاعة الجانبية ، برزت عشرة ذئاب

مكشرة عن أنيابها ، واستل الحراس سيوفهم ..
وعرفت (عبير) أنها ستتحول إلى طبق من الكفتة
بعد قليل ما لم تجد حلاً ..

قالت الفتاة السطحية وهي تتمايل على النغم :
« سيكون منظرًا بشعاً .. أنا لا أطيق الدماء ! »
ثم نسيت الأمر برمته .. وعادت تتابع المسلسل
على الشاشة ..

نظرت (عبير) إلى ما يحدث حولها .. وراح شيء
ما يصرخ في عقلها بجنون : احلمى يا (عبير) ..
احلمى ! إنهم لا يطيقون الحلم ..
ولكن كيف تحلم بينما الذئاب تحيط بها ..
والسيوف مشرعة في وجهها ؟
أغمضت عينيها وراحت تتخيل ..



إنها تملك جناحين .. ترفرف بهما وسط المروج ..
تعلو فوق الحارة التي كانت تعيش بها .. تدنو من
السحب ..

وترنو لأسفل فتري البشر كالنمل .. الشوارع
كشقوق في قطعة (سيراميك) .. السيارات كما تبدو
في لعبة فيديو هائلة الحجم ..

إنها تحلم بالدنو من القمر .. ترفرف حوله ..
يرمقها الوجه الضاحك فى شغف .. وتحلق .. تحلق ..
تحلق



ملاحم الانزعاج فى وجوههم .. أكثرهم تراجع إلى
الوراء ..

بعضهم ملقى جوار الجدار يتلوى ألماً .. و (الواقع)
يهتف من فوق عرشه فى عصبية :

- « امنعوها يا حمقى ! لا تدعوها تركز تفكيرها ! »
هنا قررت أن تواصل خطتها الناجحة ..



فى بلاط الملك (لويس الرابع عشر) .. المتآمرون
يخرجون سيوفهم من قرابها .. ويحيطون بالعاهل
المذعور الذى لم يفهم بعد ..

ولكن .. يتهشم زجاج النافذة .. ويدخل القاعة ذلك
الفراس الرشيق المثلثم .. يبارز المتمردين واحداً
واحداً .. يطعن هذا .. ويهشم سيف ذاك .. ويركل
ذين .. ثم يسقط اللثام عن وجهه .. فيهتف الملك فى
ذهول .. إنها فتاة ! نعم هى فتاة .. و (عبير) على
وجه الدقة ..

شعرها ينسدل على كتفيتها وهي تبارز .. تبارز ..
تبارز .

★ ★ ★

الضربات تنهال عليها .. لكنها دفنت وجهها في
كفها ، ولم تكف عن الحلم .. وتسمع صراخهم ..
وسقوطهم .. ومحاولتهم لمنعها ..
وهوى سيف إلى جوار رأسها حيث ركعت على
الأرض ..

مذت يدها إليه .. كانت تعرف ما ينبغي عمله ..
أمسكته كالرمح ، وأحكمت التصويب .. ثم رمت
به .. فطار في الهواء ليستقر في شاشة التلفزيون
المعلقة فوق رأس (الواقع) ..

كراش كراش كراش !

تحولت الشاشة إلى شظايا .. وسمعت الصراخ :

- « لقد دمرته ! حطمت التلفزيون ! »

- « امنعوها من مزيد من التخ »

★ ★ ★

هي في الأذغال .. ترتدى قميصاً وحذاءً ذا رقبة ..
وفي يدها بندقيّة .. الخرتيت ينقض عليها .. إنه
مصمم على تدميرها .. تحبس أنفاسها .. وتضغط

الزناد .. يوم ! لكن الوحش مستمر فى اندفاعه ..
يوم أخرى ! رأسه ينفجر بالدماء لكنه مستمر فى
الركض نحوها ..

تنثب إلى أعلى لتتعلق بجذع الشجرة ، فيمر الوحش
ما بين ساقىها .. و

★ ★ ★

كان هدفها واضحاً هذه المرة ..
سيف آخر فى قبضتها .. أمسكته وهرعت نحو
كرسى العرش .
نظر لها شاغر المقعد فى غباء عاجزاً عن التملص ..
فقط سألها :

- « م .. ماذا ستفعلين ؟ »

- « سؤال سخيف .. »

وبكل قوتها أولجت السيف فى صدره ، فأصدر
عواءً مريعاً .. عواءً يحوى كل صراخ القتل فى
الحروب ، وآلام الجرحى ، وهدير الحافلات ، وغبار
المصانع ، وسباب الرعاع ، ونباح الكلاب المسعورة ..
كل ما هو ردىء ومقيت ..

واتفجر الدم من فمه .. وتحسس بطنه .. ثم هوى
أرضاً ..

تدحرج جسده على درجات السلم .. ثم همد تماماً ..
عندها بدأ القصر كله يهتز .. وراحوا يصرخون ..
قطع حجارة عملاقة تهوى من السقف لتهشم من
تهشم .. وتطحن من تطحن ..
لكنها لم تخش شيئاً .. القصر ينهار بعد وفاة صاحبه ..
ابتسامة قاسية ارتسمت على ثغرها وهى ترمق
هذا كله ..

ووسط الفوضى والغبار رأتها قائداً نحوها فى تودة ..
القلم فى يده .. واليد الأخرى فى جيبه .. وقد بدا
كأنه لا يبالي بكل هذا الهراء والصخب من حوله ..
- « مرحباً يا فتاة .. »

- « مرحباً يا (مرشد) .. لقد حان الوقت .. »
- « كانت مغامرة جيدة .. وأردت أن أعطيك وقتاً ..
لا بد أنك تفهمين هذا .. »

واصطحبها إلى خارج القصر بينما أصوات الانهيارات
تصم أذنيها .. وقال لها وهو يتأبط ذراعها :
- « يمكن القول إنك - حرفياً - استطعت بالخيال
أن تصرعى الواقع .. وأن تحطمي الابتذال والسطحية
والقبح ! »
سألته :

- « وماذا عن عالم (شكسبير) ؟ »
 - « سيعود كما كان .. لقد أنقذته وأنقذت (فانتازيا)
 كلها من خطر داهم .. ولكن أبطال (شكسبير) لم
 يموتوا .. كانوا أسرى في هذا القصر .. »
 - « وماذا لو عاد الخطر من جديد ؟ »
 ابتسم وقال وهو يرمق الأفق :
 « سنفعل ما نفعله دائماً .. »
 وهتف في لهجة تقريرية :
 - « سنغمض عيوننا .. ونحلم ! »

★ ★ ★

لقد انتصرت (عبير) على الابتذال والسوقية إلى حين ..
 أما الآن فليسوف نخوض معها مغامرة لها طابع
 خاص وسط الأدغال حيث القردة الثائرة وأكلة البشر
 والأسود والنمور والتماسيح والثيران البرية .. وكل
 ما من شأنه أن يجعل الحياة قاسية ..
 لكن (عبير) لن تكون وحدها .. بل سيكون معها
 - بالإضافة لنا - قرد أبيض وسيم قوى .. اصطلاح
 الناس على تسميته (طرزان) .

★ ★ ★

(تمت بحمد الله)

روايات
مغامرات ممتعة
من أرض الخيال

فانتازيا

الاسم : شكسبير

.. وكان هذا الخطر يهدد عالم
(شكسبير) .. بل يهدد (فانتازيا)
كلها .. وفي الأعماق تردد السؤال
الخالد : ماذا يحدث هاهنا ؟ ..
أنتم لاتعرفون الجواب ، وكذلك
نحن .. لهذا دعونا نقرب أكثر ..
ونحاول أن نفهم .. فى هذه المغامرة
ذات الطابع الفريد ..



د. احمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

للطباعة والنشر والتوزيع

ت ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧

فاكس ٢٨٢٧٠٠٢

١٥
قرش جني

وعلى مدار الدول العربية والعالم